الروض الهتون

في أخبار مكناسة الزيتون

تأليف

محمد ابن غازي العثماني

تحقيق

عبد الوهاب ابن منصور

مؤرخ المملكة

الطبعة الثانية

1408 - 1988

المطبعة الملكية - الرباط

الروض الهتون

في أخبار مكناسة الزيتون

تأليف

محمد ابن غازي العثماني

تحقيق

عبد الوهاب ابن منصور

مؤرخ المملكة

الطبعة الثانية

1408 - 1988

المطبعة الملكية - الرباط

بسم الله الرحمن الرحيم

يسعد المطبعة الملكية ان تواصل نشر ذخائر المغرب العلمية والأدبية والتاريخية ، فتضيف الى سلسلة منشوراتها كتيبا صغير الحجم عظيم الفائدة ، هو كتاب (**الروض الهتون ، في اخبار مكناسة الزيتون**) الذي هو ثاني (1) محاولة فيما اعلم قام بها مؤرخ مغربي للكتابة عن احدى مدننا المجيدة .

مؤلف هذا الكتيب ، هو فقيه المغرب وعالمه ، شيخ الجماعة محمد بن احمد بن محمد بن محمد بن علي المعروف بابن غازي (2) العثماني نسبة إلى بني عثمان احد بطون قبيلة كتامة الريفية ، المولود بمكناس عام 841 والمتوفى بفاس عشية الأربعاء 9 جمادى الأولى عام 919 ألفه ليؤدي بعض ما يجب عليه نحو بلد ولد فيه ونشأ ، وتأدب وتعلم ، اقتداء بمن تقدم عليه وتأخر عنه من العلماء والأدباء الذين خلدوا مآثر بلدانهم ونشروا مفاخرها واذاعوا محاسنها ، ولا غرو ان هم فعلوا ذلك ، فحب الأوطان من الايمان ، بل هو جبلة فطر عليها الانسان ، وغريزة ركبت في طباع جميع الحيوان .

وقد اعتمدت في طبعه على نسختين مخطوطتين منه محفوظتين بالخزانة الملكية بالرباط الأولى تحت عدد 3149 والثانية تحت عدد 5217 وعلى نسختيه المطبوعتين بفاس والرباط ، وقابلت نقوله مع اصولها ، وعرفت ببعض الأعلام الفردية والجنسية الواردة فيه ، وشرحت بعض الفاظه العامية او التي لها دلالة خاصة في عامية المغرب تختلف عن دلالتها في

---

1) المحاولة الأولى هي التي قام بها القاضي ابو الخطاب سهل بن القاسم ابن زغبوش ، انظر ص 32 من هذا الكتاب .

2) انظر ترجمته في **اتحاف اعلام الناس** 4 : 3 **وسلوة الأنفاس** 2 : 73 .

اصلها الفصيح ، ولم اغفل تحديد مواقع بعض الأماكن التي ذكرها المؤلف كالأبواب والمساجد والحمامات والمدارس والزوايا والحارات ، معتمداً في هذا التحديد على معلوماتي الخاصة ، وعلى ما ورد عن تلك الأماكن في كتاب (**اتحاف اعلام الناس ، بجمال اخبار حاضرة مكناس**) للفقيه المؤرخ السيد عبد الرحمان ابن زيدان العلوي ، اما البعض الآخر من تلك الأماكن فقد اغفلت تحديده لأنني لم اعرف موقعه الحقيقي بالنسبة للمسطح الحالي لمكناس ، اذ لا يخفى ان هذه المدينة العظيمة تعرضت منذ زمان ابن غازي لتغييرات كثيرة ، سيما تلك التي اصابتْها على يد السلطان مولاي اسماعيل بن الشريف والتي كادت تجعل منها مدينة تختلف عن تلك التي كتب عنها ابن غازي **روضة الهتون.**

وانني لامل ان تكون المطبعة الملكية ادت بطبع هذا الكتيب بعض ما يجب عليها نحو مدينة جميلة من بلادنا العزيزة .

الرباط { 6 صفر 1384 / 17 يونيو 1964

عبد الوهاب بن منصور

مؤرخ المملكة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله

الحمد لله الذي حبب الأوطان ، للظاعنين من اهلها والقطان ، والصلاة والتسليم على سيدنا محمد ذي الشيم الحسان ، وعلى آله وصحبه اولي البر والتقا والاحسان

وبعد فهذا **روض هتون ، في اخبار مكناسة الزيتون** ، مسقط رأسي ، ومحل انسي ٠

بلاد بها نيطت عليَّ تمائمي
واول ارض مسَّ جلدي ترابها

وانما عرف هذا البلد بهذه الاضافة ليمتاز عن مكناسة تازة ، وذلك ان من قبائل زناتة (1) قبيلا يقال له

---

1) قبيلة عظيمة من قبائل البربر ، او جيل منهم قديم العهد معروف الاثر كما يقول ابن خلدون ، وهم اشبه البربر بالعرب في الاخلاق والعادات واصطناع وسائل العيش ، كما ان لغتهم تختلف عن لغة البربر وتمتاز عنها ، ومواطنهم بتلول المغرب وصحرائه ما بين غدامس والبحر المحيط ، وجلهم بالمغرب الأوسط حتى انه نسب اليهم فسمي وطن زناتة ، ومنهم قبائل قوية بالمغرب الأقصى ، ولاسيما في شرقه وشماله لم تزل السنتها تتعرب منذ امتزجت بقبائل بني هلال في القرن السابع حتى صارت لغتها الأولى اليوم في حكم المعدوم ٠

وقد اختلف النسابون في نسبهم اختلافا كبيرا ، فقيل انهم من ولد مادغيس الابتر ، ومن ولد جالوت ، ومن ولد قيس عيلان ، ومن العمالقة ، واكثر نسابة زناتة على انهم من عرب حمير من التبابعة ، ومن اشهر القبائل الزناتية : بنو مرين ، ملوك المغرب ، وبنو عبد الوادي ملوك تلمسان ، ومغراوة ، وبنو يفرن ، وتجين ، وزواغة ، ومغيلة ، ومطغرة ، ومديونة ، وملزوزة ، ومطماطة ، وولهاصة ، ولواتة ، ومرنيسة ، وبطوية ، وكزناية ، وجراوة ، وبنو مستارة ، وسدراتة ، وبنو واسين الخ ٠

مكناسة (2) منهم فخذ بتازة شرقا من مدينة فاس بينهما نحو سبعة برد ، ومنهم فخذتان بهذا الموضع المراد غربا من مدينة فاس وبينهما نحو ثلاثة برد ونصف بريد ، فتميزت احداهما عن الأخرى بما اضيفت اليه ، ومكناسة الزيتون لها واد يسمى في القديم فلفلا ، ويعرف الآن بأبي عمائر (3) وفيه يقول شيخ شيوخنا الاستاذ محمد ابن جابر الغساني (4) في ارجوزته المسماة **بنزهة الناظر لابن جابر :**

---

2) لا يعد نسابة البربر ومؤرخو المغرب مكناسة من قبائل زناتة ، بل هم من ولد ورصطف (او ورسطيف) بن يحيى بن ضرن بن رحيك بن مادغيس الأبتر ، واقرب الشعوب البربرية اليهم شعب زناتة لأنهم جميعا بتر من ولد يحيى بن ضرن المذكور على اشهر الاقوال ، ولمكناسة في القديم بطون كثيرة منها وصولات ، وبوحاب ، وبنو ورفلاس ، وبنو وردنوس ، وقنصارة ، ونبعة ، وورقطنة ، وكانت مواطنهم على وادي ملوية ، من سجلماسة وراء منابعه العليا الى مصبه في البحر المتوسط وما جاور ذلك الوادي شرقا وغربا سيما ناحية تازة والتسول ، وكانت رياستهم جميعا في بني ابايرون ، واسمه مجدول بن ناقريس بن فراديس بن ونيف بن مكناس . وكانت لهم ايام ورجال ايام مروانيي الاندلس وعبيديي المغرب ، كما كانت لهم مقامات صدق في الجهاد بالجزيرة الأندلسية ، ثم انقسموا الى مكناسة سجلماسة ورياستهم في بني واسول بن مصلان ، ومكناسة تازة ورياستهم في بني ابي العافية ، ولكل من الفريقين اخبار ووقائع وامارات ورؤساء تراجع في كتب التاريخ .

اما مكناسة اليوم فلم يبق منها بالمغرب بهذا الاسم الا قبيلة صغيرة تجاور تازة من جهة الشمال ، تحدها غياثة جنوبا ، والتسول غربا ، والبرانس شمالا ، ومغراوة ، وهوارة ، واولاد بوريمة شرقا ، وتشتمل على بطون ثلاثة : بنعلي ، وبني هيتم ، واولاد بكار .

3) هذا الوادي هو الواقع في الشعبة الفاصلة بين المدينة القديمة والمدينة الجديدة ، كان في الماضي يعرف بوادي الفلفل ، ويسمى في الحاضر باسماء متعددة حسب الأمكنة التي يمر بها ، فهو وادي بوعماير ، ووادي بوفكران ، ومعروف ، ودردورة ، وما زال اسم بوعماير احد اسمائه معروفا الى الآن ، واصل منبعه من غار يسمى غار الريح بجبل بوزكو احد جبال قبيلة بني مطير .

4) محمد بن يحيى بن جابر الغساني المكناسي فقيه اديب ، توفي بمكناس عام 827 انظر ترجمته في **اتحاف اعلام الناس** 3 : 590

فلن ترى في سائر العمائــر مثل محاسن ابي عمائــر

يمر النهر المذكور من قبلة الى جوف (5) قريبا من سورها ، اصله والله تعالى اعلم من جبل بني فازاز (6) .

ومكناسة هذه بلدة خصيبة ذات عيون وانهار ، وثمار كثيرة واشجار ، وهي كما وصفها ابن الخطيب (7) اذ يقول :

حـــييت يامكناســـة الــزيتون
قد صح عذر الناظر المفتون

---

5) اي من جنوب الى شمال

6) كانت جبال فازاز تطلق في القديم على الجبال الممتدة من جنوب مكناس الى وادي ملوية ووادي العبيد ، وقد اضمحل اليوم هذا الاطلاق الواسع ، ولم يعد يسمى بفازاز الا مكان بتلك الجبال يبعد عن مكناس جنوبا نحو 100 كلم . كما يسمى باهل فازاز بطن من قبيلة المصاعرة الزمورية .

7) محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني الغرناطي الشهير بلســان الدين ابن الخطيب اديب الاندلس وكاتبها وشاعرها ومؤرخها ، صاحب (**الاحاطة**) و(**نفاضة الجراب**) و (**ريحانة الكتاب**) وغيرها ، ولد بغرناطة في 25 رجب عام 713 وتوفي قتيلا بفاس اوائل عام 776 وضريحه عن يمين الذاهب من باب المحروق الى قصبة الشراردة ، وقد جددته وزارة الاحباس في السنين الاخيرة .

والأبيات التي اوردها ابن غازي لابن الخطيب في مدح مكناس رواها احمد المقري في **نفح الطيب** (8 : 318) نقلا عن **نفاضة الجراب** كالآتي :

بالحسن مــن مكناسة الزيتــون — قد صح عذر الناظر المفتــون
فضل الهواء ، وصحة الماء الذي — يجري بها ، وسلامة المخزون
سحت عليها كل عين ثـــرة — للمـزن هامية الغمـام هـتـون
فاحمر خد الورد بين اباطـــح — وافتر ثغر الزهر بيــن غصون
ولقد كفاها شاهدا ـ مهما ادعت — قصب السباق ـ القرب من زرهون
جبل تضاحكت البروق بجـــوه — فبكـــت عـــذاب عيونه بعيون
وكأنما هـــو بـربـري وافـد — في لوحـــه والتين والـــزيتون
حييت من بلد خصيب ، ارضه — مثوى امان او مناخ امـــون
وضعت عليك من الاله عنايـــة — تكسوك ثوبي امنة وسكـــون

طيب الهواء وصحة الماء الذي
يجرى بها وسلامة المخزون
وكفاك شاهد حسنها وجمالها
ان اوثرت بالقرب من زرهون (8)
جبل تضاحكت البروق بجوه
وجرت عذاب مياهه بعيون
فكأنما هو بربري نافذ
في لوحه والتين والزيتون

وقال الاستاذ ابن جابر الغساني :

لا تنكرن الحسن من مكناسة
فالحسن لم يبرح بها معروفا
ولئن محت ايدي الزمان رسومها
فلربما ابقت هناك حروفا

---

8) جبل يقع الى الشمال من بسيط سايس الممتد بين فاس ومكناس ، وابتداؤه بالنسبة للذاهب من مكناس اليه بالمحل المعروف بعقبة العربي ، وهو جبل جيد التربة ، كثير الأشجار ، عديد القرى ، من اشهر قراه زاوية المولى ادريس بن عبد الله الكامل مؤسس الدولة الادريسية العلوية بالمغرب ، وبمحاذاته خرائب المدينة الرومانية المسماة عند المغاربة بقصر فرعون ، وعند الأوربيين بفيلوبوس ، ويسكن هذا الجبل قوم وردوا عليه في الأول من ناحية الريف ، ثم طرات عليه وعلى بسيط سايس الواقع في جنوبه فلول قبائل المغرب الشرقي والمغرب الأوسط التي انحاشت الى داخل المغرب الاقصى امام توغل الجيش الفرنسي في الجزائر ومقاطعات المغرب الشرقي السليبة ، كحميان والمهاية واشجع والنصيريين والغنانمة والرواشد وفرطاسة واولاد سيدي الشيخ الخ ، ولهذا الجبل قدسية في نفوس سكان المغرب وله ذكر طويل يذكر في تاريخ انتشار الاسلام والعربية بالمغرب الأقصى .

وهي كثيرة الفواكه والمزارع والمسارح ، فيها انواع كثيرة من الهلالج (9) المسمى بغرب الاندلس (العبقـر) ، ويسمونه البرقوق لا يكاد يوجد مثله في غيرها من البلاد كثرة وطيبا وغضارة خصت بذلك ، وفيها المشمش المسمى بالأندلس البرقوق ، وفيها انواع من التفاح طيبة ، من جملتها نوع يسمى الطرابلسي حلو عطر يعقد مرتين في العام في اكثر الاحوال ، ويسمون الآخر منه العودة ، وهو عطر جداً اصغر جرما من البطن الاول ، وفيها انواع كثيرة من الاجاص ، وفيها سفرجل كثير طيب حلو وحامض ، ويركب التفاح فيه فيجود ، ويركب ايضا فيه الاجاص ، وفيه انواع من الرمان كثيرة طيبة كالسفري (10) والراهبى وميمونة ، والنعيمي ، والأخضر ، ورمانها القديم صنف يقال له القابسي وهو جليل شديد الحلاوة ذو نوا ، وفيها الجوز والخوخ ، وفيها من انواع العنب الابيض والاسود كثير طيب يطبخ ولا يزبب ، وفيها من التين انواع منها الشعري (11) كشعري اشبيلية ، ومنها نوع يقال له السبتي ، وهو ابيض للطول رقيق البشرة ، وهما نوعان

---

9) لا تعرف هذه الكلمة اليوم بالمغرب ، والاهليلج في كتب اللغة والنبات هو شجر ثمره على هيأة حب الصنوبر الكبار ينبت بالهند والسند والصين .

10) رمان لا نوى له ، وهو اطيب انواع الرمان وألذه ، ينسب الى سفر بن عبيد الكلاعي من جند الاردن ، واحد رجال عبد الرحمان الأموي الداخل الى الاندلس ، وسفر هو الذي استنبته بقرية بكورة رية وعالجه حتى اينع واثمر وجاء فريداً في نوعه عذوبة طعم ورقة عظم وغزارة ماء وحسن صورة ، فلزمه النسب اليه ، وعرف منذ تلك العصر بالاندلس والمغرب بالرمان السفري .

11) لا يزال معروفا في المغرب بهذا الاسم الى اليوم ، وهو تين مستطيل شديد الحلاوة اسود اللون او مائل الى السواد .

طيبان اذا اكلا اخضرين ، ومنها نوع جليل ابيض للخضرة مستدير ، يقال له الانبضار يشرح فتأتي شريحته (I2) في غاية الطيب ، وغير ذلك من انواع التين ، كالأشكوز ، والشبلي ، والحمراء ، والغدان ، والحافر ، والنقال ، وغيرها ، ويجلب اليها البلوط الجليل الحلو ، واما الزيتون فهو فيها كثير جداً ، ولذلك اضيفت اليه واشتهرت به ، ولما ولى محمد بن عبد الله بن واجاج في اول أيام الموحدين بلاد المغرب سيفا وعملا غرس بها وبفاس وبالمقرمدة وبرباط تازة بحيرات (I3) اكثر غراساتها الزيتون ، فكان حب زيتون بحيرة مكناس يباع عام الحمل بخمسة وثلاثين الف دينار ونحوها ، وحب زيتون بحيرة فاس بخمسين الف دينار ونحوها ، وحب زيتون بحيرة تازة بخمسة وعشرين الف دينار ونحوها ، وذلك قبل ان يستولي على المغرب تخريب بني مرين عند اختلال امر الموحدين ، وفي بحيرتي فاس ومكناسة انواع كثيرة من الفواكه الصيفية والخريفية والورد مما كان له غلة جليلة ، وفيها ارض بيضاء للخضر والكتان تكترى بمال جسيم.

وغراسات مكناسة كلها سقي الا ما كان منها بحكم النادر ، وقد باد زيتونها لهذا العهد الا قليلا لما توالى عليها من الفتن والبقاء لله وحده .

I2) الشريحة معروفة بهذا الاسم الى اليوم ، وهي تين مفلوق ييبس ويدخر للشتاء فيقتات به .

I3) البحيرة تصغير بحرة هي الروضة العظيمة ، والبحيرة كقبيلة الأرض المشقوقة ، وتطلق اليوم خاصة في المغرب على بقاع تزرع ببعض الخضر والفواكه كالبصل والثوم والدباء والدلاح والبطيخ .

وكانت البلاد قبل فتحها ديار كفر مجوس ونصارى ، وحاضرتها اذذاك مدينة يقال لها وليلي (I4) سميت باسم ملكها وليلي ، وءاثارها عظيمة باقية لهذا العهد بأرض خيبر (I5) من ناحية جبل زرهون ، تعرف اليوم بقصر فرعون ، قيل ولم تكن مكناسة في القديم بمدينة ممدنة ، وكانت حوائـــر (I6) كثيرة متفرقة ، وهي تاورا ، وبنو عطوش ، وبنو برنوس ، وبنو شلوش ، وبنو موسى ، وهذه كلها على الضفة الغربية من وادي فلفل المذكور ، الا تاورا فانها بضفتيه الغربية

I4) تقع وليلة على بعد 30 كلم الى الشمال من مكناس على هضبة يبلغ علوها 400 م. ف. س. ب ، وكانت مدينة عظيمة استقر بها ، ـ على ما يظهر ـ ملوك البربر القدماء ، مثل يوبا الثاني وبطليموس ، ثم اصبحت بعد الفتح الروماني للمغرب مقرا للولاة الرومانيين بموريتانيا الطنجية ، وقد بلغت قمة مجدها في القرنين الثاني والثالث بعد ميلاد المسيح ، وبعد وفاة الامبراطور بروبرس (276 ـ 281 ب. م) بدات تتدهور وتخرب ، ولما بـدا الاسلام ينتشر بالمغرب كانت بها بقيـة من عمران ، وبها نـزل ادريس بن عبد الله الكامل على قبيلة وربة (اوربة) لما دخل المغرب ، فقام بدعوته شيخها عبد الحميد الأوربي واعانه على تأسيس الدولة الادريسية التي امتد نفوذها على جميع المغرب الأقصى وجل المغرب الأوسط ، وبدات اهمية وليلة تتضاءل بعد ذلك عند ما ازدهرت بجوارها مدن اخرى كفاس ومكناس وطنجة وسبتة ، فانقطع عمرانها ، ودب اليها الخراب ، ثم دك زلزال سنة 1755 ما بقي من بنيانها قائما ، فنسب الناس خرابها الى فرعون ، وسموها (قصر فرعون) تشبيها لها بآثار الفراعنة ، وفي سنة 1333 (1915) شرعت مصلحة الآثار بالمغرب ترفع انقاضها وتظهر معالمها مستخدمة في ذلك الأسارى الالمانيين الذين جيء بهم الى المغرب من ساحات القتال في اوربـــا ، وتوبع العمل بعد ذلك ، وقد تم حتى الآن رفع الأنقاض عن مساحة تبلغ I5 هكتارا من مجموع الاربعين هكتارا التي يغطيها مسطح البلد ، كما كشفت معالم سورها الذي يبلغ طوله 2350 مترا . والذي كان يشتمل على ثمانية ابواب ونحو 40 برجا . وليس في التاريخ ما يدل على قول المؤلف ان وليلة سميت باسم ملكها ، بل هو اسم بربري معناه الدفلة التي يكثر شجرها بواد بها ، وقد حافظت على اسم وليلي كما كتبه المؤلـــف وصوابه وليلة كما هو مكتوب في العديد من كتب الجغرافيا ومنقوش في المسكوكات الادريسية .

I5) يطلق لفظ خيبر اليوم فقط على الجهة الشرقية العليا لمدينة زرهون ، وهي المواجهة للداخل من باب الحجر احد ابوابها .

I6) جمع حارة على غير قياس ، وهي الحي ، واصل معناها المستدير مـــن الفضاء ، وكل مكان تدانت منازله .

والشرقية ، وغراساتها كلهـا متنظمة متصل بعضها ببعض لا فاصل بينها ، وتاورا اقرب الحوائر الى المدينة من جهة باب البراذعيين ، ومن حوائرها ايضا بنو زياد وتقع غربا من الحوائر المذكورة وليست على الوادي المذكور ، لكن لها منه جدول من نوع ساقية طويلة المسافة صعبة المجرى ، ومن حوائرها ايضا ورزيغة يذكر ان اصل اهلها روم ، وتقع شرقا من نهر فلفل ، وبينهما مسافة ، ولورزيغة حارتان قريبتان منها : بنو مروان وبنو غفجوم (17) وبنو مروان اقرب اليها ، وماؤها من وادي ويسلن (18) من اودية مكناسة ، وبها عيون ، وكانت ورزيغة مخصوصة بالأمن يسكن اهلها الخيمات بالجنات فلا يلحق احدهم خوف ولا يتوقعه الا من جهة الأسد خاصة ، وببني زياد ايضا عيون يسقون بها بعض املاكهم ، ويسقون بعضها بالساقية المخرجة من وادي فلفل المذكور ، وبعضها بعل (19) ، وكان العنب البعلي بها في

---

17) بنو غفجوم فخذ من قبيلة جراوة الزنانية ، وكانت مساكنهم في القرن الخامس الهجري بجهة تادلة ، واليهم ينسب الشاعر المغربي الفحل احمد بن عبد السلام الجراوي الغفجومي ، وهو القائل في هجوهم توصلا الى هجو بني الملجوم احد بيوتات فاس السرية :

يابن السبيل اذا مررت بتادلا	لا تنزلن على بني غفجوم
ارض اغار بها العدو فلا ترى	الا مجاوبة الصدا للبوم
قوم طووا طنب السماحة بينهم	لكنهم نشروا لواء اللوم
لاحظ في اموالهم ونوالهم	للسائل العافي ولا المحروم
لا يملكون اذا استبيح حريمهم	الا الصراخ بدعوة المظلوم
ياليتني من غيرهم ولو انني	من ارض فاس من بني الملجوم !

18) هذا الوادي معروف بهذا الاسم الى اليوم ، وهو الذي يفصل هضبة حمرية عن سهل سايس .

19) البعل من الارض ما سقته السماء ولم يسق بماء الينابيع ، واللفظ مستعمل في العامية المغربية بمعناه العربي الفصيح .

غاية من الطيب بموضع هناك يقال له امترويء اليه ينسب العنب المتروئي ، قال الاستاذ محمد ابن جابر في **نزهة الناظر** بعد ما ذكر اصناف العنب التي بمكناسة :

لكـنـني اقـول دون سـوء
ما فاق الأعناب سوى المتروئي

وهو عنب ابيض شديد الحلاوة ، ولا سيما الأنثى منه ، ويذكر انه من قوته لا يستحيل خمراً الا عند اعتدال الزمان ، ومن غلوهم فيه انهم يقولون انه يستصبح بخمره ، وهنالك قرية كان يقال لها قرية الأندلس كانت من عمل بني زيـاد ، سكنها على قديم الزمان قوم اندلسيون وتناسلوا بها واقاموا دهراً لم تتغير ألسنتهم ولا اشكالهم الا من كان منهم كثيـر الامتزاج بأهل البلد فانه تغير لسانه ، وكانت لهم بالقريـة المذكورة كرمات بعل في ارض رملة حمراء (كـذا قيل) ، وهذه القرية والله اعلم هي المسماة في هذه الأعصر تلاجدوت (20) وبها جرا المثل السائر (دار الكـرامـة ياتلاجدوت) ، ومنها كان الشيخ علي بن يوسف التلاجدوتي المدعو بسيدي علي بن يشو (21) ، وهو من شيوخ شيخنـا الفقيه الحافظ سيدي محمد القوري (22) ، والخطيب البليغ

---

20) لم يعد هذا الاسم اليوم معروفا ، والظاهر ان مسماه هو محل مكناس القديمة .

21) علي بن يوسف بن يشو التلاجدوتي ، انظر عنه **اتحاف اعلام الناس** 5 : 455

22) محمد بن قاسم بن محمد بن احمد القوري اللخمي المكناسي ، مفتي فاس ومكناس واحد كبار فقهاء المغرب ، ولد سنة 804 بمكناس ، وتوفي بفاس عام 872 ، انظر ترجمته في **اتحاف اعلام الناس** 3 : 595 .

المصقع سيدي احمد بن سعيــد الحباك الغفجميسي (23) ، وكلامهم اليوم (24) برطانة البربر المفرطة في العجمة .

وكانت حارة تاورا (25) التي هي اقرب الحوائز الى المدينة الآن يشقها وادي فلفل ، ديارها على ضفتيه شرقــا وغربا ، والغراسات بها وبسائر الحوائز متصلة بالديار ، وبتاورا ارحاء كثيرة كان اكثرها يحتوي على اربعة احجار ، وكان مــن جملتها بيت واحد للــزغابشة يحتوي على خمسة احجار ، وكان فيها حمامان اثنان ، احدهما منسوب للزغابشة ، والثاني للمختص يعرف بحمام ابي الخيار بازائه عين كبيرة تنسب كذلك لأبي الخيار ، ماؤها عذب معين صاف تسقى بها طائفة كثيرة من املاك تاورا ، ومن املاك من تحتها ، وكانت حارة تاورا تنقسم اقساما قسم يقال له بنــو عيسى ديارهم بالضفة الغربية من الوادي يذكر انهم اصل بنـــي زغبوش ، لكن لا نعلم صحة ذلك ، غير انهم كانوا يجدون في بعض العقود القديمة نسبتهم الى عيسى بلفظ فــلان بن فلان العيسوى ، ويستدلون بذلك على ان بني زغبوش من بنـــي

---

23) احمد بن سعيد الغفجميسي المعروف بالحباك ، فقيه متصوف شاعــر ، ولد بمكناس عام 804 وتوفي بفاس عام 870 . انظر ترجمته في **اتحاف اعلام الناس** 1 : 313 .

24) كان ذلك في عصر المؤلف ، اما اليوم فلا يتكلم اهل مكناس الا العربية وحدها .

25) تقع هذه الحارة وتوابعها شرقا عن يمين الخارج من بــاب البــراذعيين الذاهب الى زرهون ، والحوائز الاخرى غربا عن يساره ، ولم يبق اليوم معروفا باسمه القديم من حوائز تاورا الا حارة بني موسى ، كما لم يبق من نسل سكانها اليوم بمكناس الا بنو حموش وبنو زغبوش .

عيسى والله تعالى اعلم ، وقسم بالضفة المذكورة قبلة من بني عيسى يقال له بنو يونس ، ويسمى ايضا هذا القسم تاورا الفوقية ، وبهذا القسم كان المسجد الجامع ، وبين هذين القسمين موضع عال يعرف بالجهنمية ، وقسم بالضفة المذكورة يقال له فاس الصغيرة ، كأنها سميت بذلك لاختراق الماء خلالها كمدينة فاس ، وبالضفة الشرقية من الوادي قسم يقال له الجنان الصغير ، وقسم يسمى بني ابي نواس ، وقسم يسمى حارة بني زغبوش ، وحارة الزغابشة ، وثَمَّ كانت ديار بني محمد بن حماد وغيرهم ، وكان ببني زياد حمام وببني مروان حمام يعمران ، وكان ببني موسى حمام تعطل قبلهما والله تعالى اعلم ٠

وكانت هذه المواضع كلها في غاية من الخصب وكثرة المياه والأشجار وكان اهلها ءامنين مطمئنين في عيش رغد ونعمة تامة منذ ملك امراء المسلمين بنو تاشفين (26) فانقطعت مطامع رءوس النفاق من بربر المغرب ٠

قيل ولم يكن لهذه الحوائر قديما مدينة مسورة ، وكان واليها يسكن قصرا ادركه القدماء خربا يعرف بقصر ترزكين (27) ولعل جيمه معقودة ، وهو على ربوة من الأرض شرقا من بني زياد وغربا من وادي فلفل وجوفا من المدينة

---

26) هم بنو يوسف بن تاشفين ملوك الدولة اللمتونية المرابطية التي انقرضت سنة 539 بعد ما حكمت المغربيين الاقصى والاوسط والصحراء والاندلس قرابة مئة عام ٠

27) ينطبق وصف هذا القصر على المكان المعروف اليوم ببرج العريفة الكائن بحارة بني موسى قرب الجنان المعروف بجنان العريفة ٠

الآن ، فلما ظهر امر الموحدين (28) احدث المرابطون على الوادي المذكور غربا منه حصنا سموه تكرارت بالجيم المعقودة ، وكذلك بقى اسمه ، وتفسير هذا اللفظ المحلة او المجتمع بلسان البربر ، هكذا قيل ، وهذا الحصن هو المدينة الموجودة لهذا العهد ، فلما اخذوا في بنائها اجتهدوا فيه واعجلهم الأمر حتى احتاجوا على ما يحكا الى اقامة شقة من سوره بالأهرية المتخذة من الدوم لادخار الأطعمة ويسمى واحدها بلسان البربر اسكل وملأوها ترابا وقاتلوا دونها حتى اكملوا البناء بعد ذلك ، وفي القطر الغربي من ابراج سورها برج مبني بالحجر والجير بناء محكما يسمى برج ليلة (29) سمي بذلك لأنه بني من ليلته فيما زعموا ، ونقل الوالي يدر بن ولكوط بالجيم المعقودة الى المدينة المذكورة وجوه الناس واغنياءهم ولم يترك من الأقوات شيئا الا نقله اليها ، وترك جمهور الناس في مواضعهم ، فأول غارة شنها الموحدون على تلك الأرض بسوق الغبار (30) يوم الأحد ، وذلك انه لما وضعت هذه الموضوعات على الصفة المذكورة من التفرق كانت لهم سوق غبار بازاء قصر ترزجين

---

28) ملوك دولة عظيمة حكمت المغارب والاندلس والصحاري من سنة 539 الى سنة 669 من اشهر ملوكها الخليفة عبد المومن بن علي ، وولده يوسف ، وحفيده يعقوب المنصور .

29) هدم هذا البرج في زمن السلطان مولاي اسماعيل وزيد موضعه في المدينة حين هدم جميع سورها وزيد ما وراءه غربا في المدينة ، وسميت هذه الزيادة التي وراء السور جناح الامان .

30) ذكر المؤرخ ابن زيدان ان سوق الغبار هو المحل المعروف بذراع اللوز الكائن خارج باب البراذعيين .

المتقدم الذكر وهو الذي يسمى بالسور القديم بالـــراء او بالسوق القديم بالقاف كما يجري على السنة الناس اليوم ، ومسجد الحصن المذكور وصومعته لا يزالان قائمين لهـذا العهد ، وكان اهل الحصن واهل الحوائر يجتمعون الى تلـك السوق يوم كل احد ، فبينما هم يوم احد قد اجتمعوا وكملوا بالسوق المذكورة وهي بأرض مرتفعة اذ اشرفوا على خيل مقبلة اليهم في زي المرابطين : اللثم والغفائر القرمزية والمهاميز التاشفينية والسيوف المحلاة والعمائم ذوات الذؤابات ، فلما راى القوم هذا الزي قالوا : تقوية السلطان جاءتنا وسارعوا للقائهم فرحين بهم وهبطوا عن آخرهم ، فلما خرجوا عن منع القصر والسوق حسر الفرسان اللثم ونادوا : أبابا يا المهدي ! وكان ذلك شعارهم واجالوا السيوف عليهم ، ولم ينج واحد منهم فيما ذكر ، وكانوا ءالافا رحمهم الله ، وما زال الناس لهذا العهد يتحدثون ان المقابر التي عند بـــاب مسجد السوق القديم هي مقابر شهداء (31) ، فلعلهم هم والله تعالى اعلم ، وكان الموحدون حينئذ يسمون الناس المجسمين ويقاتلونهم قتال كفر ، وكان الناس يسمونهم الخوارج ، ولم تزل الغارات تشن عليهم فيقتل الرجال وتسبى النساء والذرية وتستباح الأموال ، والتضييق يتوالى والمكائد تدبَّر والحيل تدار حتى ضاق ذرع الناس بكثرة الوقائع عليهم .

---

31) تقع هذه المقابر عن يمين المار من باب البراذعيين لضريح مولاي عبد الله بن احمد ، وعن يسار الذاهب منه لباب تيزيمي .

ومن الأخبار التي كانت مشتهرة عند اهل الوطن انه كان بأحواز تاورا شجرة كبيرة من النشم الأسود المسمى بالتغصاص باشمام الصادين زايين وربما يكتبه المتفاصحون التقصاص بقاف وصادين ، فبينا الناس قد انبسطوا لتدبير اشغالهم ومعايشهم اذ فاجأتهم الخيل واحاطت بهم فلجأوا الى تلك النشمة وظنوا النجاة فيها ، فتعلق بها منهم خلق كثير ، وضم الموحدون الحطب لتلك الشجرة واضرموا النيران حولها فسقط كل من كان فيها واحترقوا عن ءاخرهم ، واحترقت النشمة وبقيت منها بقية مدة من الزمان ، وكانت عند اهل الأوطان من جملة مواعظ تلك الفتنة ·

فلما فتحت فاس للموحدين عام اربعين وخمسمئة انتقلوا الى مكناسة وبينهما ما يقرب من اربعين ميلا ونزلوا عليها بمحلتهم وخندقوا عليها خنادق زعموا انها سبعة خنادق ليحصنوا بها محلتهم خوفا من معرة اهل البلد لما علموا من جرأة اهل البلد وشجاعة عاملها يدر بن ولكوط ·

وذكر عبد الرحمان ابن خلدون (32) في كتاب **العبر ، وديوان المبتدا والخبر ، في ايام العرب والعجم والبربر ، وغيرهم من ذوي السلطان الأكبر** : ان عبد المومن بن

---

32) عبد الرحمان بن محمد بن خلدون الحضرمي كبير مؤرخي المغرب واحد نبغائه وعباقرته ، ولد بتونس عام 732 وبها نشأ ودرس ، وتولى خططا واعمالا للملوك المغرب والأندلس من حفصيين ومرينيين وزيانيين ونصريين ، واعترضته دسائس ووشايات ، فسافر الى مصر ، واكرمه سلطانها الظاهر برقوق وولاه قضاء المالكية ، ثم عزل واعيد ، وتوفي فجأة بالقاهرة عام 808 · وله كتب كثيرة ، طبع منها حتى الآن تاريخه وهو اشهرها ، وكتاب **لباب المحصل** في اصول الدين ، وكتاب **شفاء السائل ، لتهذيب المسائل** .

علي (33) لما فتح فاس تـرك بعض عماله محاصراً لمكناسة وانصرف هو الى حضرة مراكش ، فحاصروا مدينـة مكناسة سنين واشهراً قيل السنين سبع وقيل اربع ، ولا خلاف فـي الزائد عليها وكان بعض من يغلو في مدة الحصار يقول سبع سنين وسبعة اشهر وسبعة ايام والله تعالى اعلم ·

وحين نزل الموحدون مدينة فاس كان بها من اهل تاورا عبد الله بن محمد بن حماد بن محمد بن زغبوش يقرأ وسنـه يومئذ نحو خمس وعشرين سنة ، فتشوق احد الايام للاشراف على محلة الموحدين ، فخرج من مجلس القراءة وسط النهار وقد انصرف الناس الى ديارهـم والاسوار خالية الا مـن حراسها ، فطلع السور ليطلع منه عليهم ، فبينما هو يمشي على السور حدثته نفسه بالهبوط اليهم فارتاد موضعا خاليا خفيا عـن الحرس وربط عمامته في احدى شرفات السور ، وتقلد خريطة كتبه ، وتعلق بالعمامة وكانت ضعيفة فلما ثقلت انقطعت وسقط في الارض واعتلت احدى قدميه ، وتسارع

---

33) عبد المومن بن علي بن مخلوف بن يعلى الكرمي ، ولد عام 487 بتاجرا قرية بساحل تلمسان من ابوين فقيرين ، وحفظ بها القرآن ، ثم انتقل الى تلمسان فأخذ العلم عن فقهائها وعلمائها ، ثم عزم على الرحلة الى المشرق للحج وطلب العلم ، فالتقى في الطريق قرب بجاية بالفقيه محمد بن تومرت الهرغي الذي عرف فيما بعد بالمهدي بن تومرت وهو عائد من الشرق بعلم غزير ، فرجع معه عبد المومن الى المغرب الأقصى وشرعوا في تأسيس حركتهم التي انتهت بالقضاء على الدولة المرابطية ، ولما مـات المهدي بن تومرت عام 524 بويع عبد المومن البيعة العامة بجامع تنمل ونهض لمحاربة المرابطين ، وتلقب بأمير المومنين ولم يزل ينتقل من نصر الى نصر حتى قضى علـى خصومه وانشأ الدولة الموحدية العظيمة التي حكمت مملكة تمتد حدودها من مصر شرقا الى البحر المحيط غربا ، ومن قلب الاندلس شمالا الى السودان جنوبا ، وتوفي عبد المومن عام 558 في طريقه الى الاندلس مجاهدا ، وحملت جثته الى تنمل فدفن بجوار شيخه المهدي بن تومرت ·

اليه الموحدون ورفعوه في درقة ووضعوه بين يدي عبد المومن بن علي واكرمه الموحدون واحسنوا اليه ، وكتب له عبد المومن صكا بتسويغ ماله ومال ابيه ، واقام معهم يظعن لظعنهم ويقيم لاقامتهم مبروراً لديهم عزيزاً عليهم ، وكانوا يلحظون من يمت اليهم بسابقة او هجرة ، فلما نزلوا مكناسة ظهر عبد الله بن زغبوش المذكور بمحلتهم ، واتصل ذلك بالوالي يدر بن ولكوط فقبض على ابيه محمد بن حماد في سبعة من قرابته او مع سبعة منهم ، وكان محمد هذا فقيها خيراً قرأ بقرطبة وبغيرها ، وصحب جلة من اهل زمانه ، وثقفهم يدر بن ولكوط في دار وجعل عليهم حراسا ، ولم يمنع عنهم الزوار ، واشتد الحصار وتمادى وهم مثقفون الى ان اصبحوا مقتولين ذبحا وفي الدار نقب نفذ السور ، فقيل انهم راسلوا عبد الله المذكور في ان ياخذ لهم عهداً او يتحيلوا في الخروج ، وقيل ان جماعة من الموحدين اصبحوا في ذلك اليوم قريبا من النقب ينتظرون خروجهم فقيل حتى يئسوا وقيل حتى علموا بقتلهم ، وقيل ان ذلك النقب كان من فعل الوالي بعد قتلهم ليقيم بذلك عند الناس حجته في قتلهم ، وذكر بعض الناس ان هذه الرواية اقرب من الأولى ، لأن والد عبد الله لم يكن عنه راضيا في هجرته اليهم ، وزعم اهل الرواية الأولى ان سبب اتصال عزمهم على الخروج بالوالي ان احدهم كانت زوجه من قوم كانوا عدواً لهم فزارته فعرفها بعزيمتهم ثقة منه بها ، فأخبرت بذلك اخاها رجاء ان يخرج معهم ويخلص بنفسه وحضته على ذلك اشفاقا منها عليه ، فثارت عداوته وامكنته الفرصة فيهم

فوشى بهم الى الوالي يدر بن ولكوط فنفذ فيهم حكم الله سبحانه ·

حكى انه دخل عندهم امس اليوم الذي اصبحوا فيه مقتولين شاب من اخوال احدهم من بني علالة ، وكان حسن الصوت حافظا لكتاب الله العزيز مجيداً لقراءته ، وكانت عادته اذا دخل عليهم يؤنسهم بقراءة القرآن ، فسألوه في ذلك اليوم قراءة عشر فقرأ (اقتربت الساعة) فكان ما ذكر من حكم الله فيهم ، وكان امر الله قدراً مقدورا ·

وبقي الجيش محاصراً للمدينة وصاحب المدينة يبالغ في نكاية الموحدين والنيل منهم والخنادق لا تغني عن محلتهم شيئا ، ذكر انهم حفروا اول خندق قريبا من المدينة فضيق عليهم المرابطون ومن معهم في المدينة حتى رجعوا وراءهم ، وخندقوا ءاخر ولم يزالوا كذلك يضيقون عليهم ويرجعون وراءهم ويخندقون حتى اكملوا سبعة ، وامر الموحدين يستوثق وينتشر ويزيد ظهوراً ، والقبائل تتابعهم وترد عليهم افواجا ، والفتوح تتناسق ، وسكان الجبال ينزلون اليهم من صياصيها مذعنين ، حتى ان من نَظَرِ مكناسة ونواحيها جبلا كبيراً مانعا خصيبا يقال له زرهون وفيه من الخلق امة كثيرة لا تحصا عدة ارسلوا ببيعتهم مع جماعة منهم الى عبد المومن بن علي وهو يومئذ بين الصخرتين من احواز تلمسان ، وجرأوا الموحدين على دخول المغرب واعانوهم على محاصرة مدينة مكناسة ، فكانوا ابداً مبغضين لأهل تلك البلاد ، وكانوا بسبب سبقهم احراراً من المغارم ، كتب لهم بذلك صكوكا كانت

بأيديهم ، ولم يتعرض لأموالهم كما فعل بالأملاك التي اخذت عنوة ، لكنهم كلفوا آخرأ من الكلف الطارئة ما لم يكن لهم بحمله طاقة ولم ينفعهم بدارهم ، وكان ظلمة العمال يسمون هذا الجبل جبل الذهب ، ويذكر ان اصل اهله روم وبأسفلـه على اثني عشر ميلا من مكناسة بموضع يقال له تازجا (34) اثر بناء عتيق ضخم يسمى قصر فرعون ، وكان ثم سوق غبار يجتمع فيها يوم الأربعاء ، وتنسب هذه السوق لوليلي ، ويذكر ان وليلي كان ملكا للروم ، وكانت له هناك تلك المدينة ، وهي كانت حاضرة تلك البلاد كما ذكر بعض المؤرخين ، ولما استولى الفتح على المغرب شمل مدينة وليلي وغيرها ، وبها نزل السيد الطاهر النقي التقي ادريس بن عبد الله (35) رضي الله تعالى عنه على شيخ أوربة (36) حسبما هو مذكور في تاريخه ، فلما راى الموحدون انقياد الناس اليهم وتوالى

---

34) يطلق اليوم هذا الاسم على الجهة العليا الغربية التي تقع عن يمين الداخل الى زرهون من باب الحجر احد ابوابها ، وما نزل عن الباب المذكور خارجا عنها يسمى (تحت تازجا) وهو وخيبر بعيدان عن وليلة ، وربما كانت عمارتها متصلة بهما في القديم.

35) ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب مؤسس الدولة الادريسية اول دولة عربية قامت بالمغرب الاقصى ، ولد بالمدينة المنورة ونشأ ، ولما دعـا اخوه محمد النفس الزكية لنفسه بفخ سنة 169 وقتل فـر ادريس الى المغرب صحبة مولاه راشد ، فنزل بوليلة على قبيلة اوربة التي اجارتـه واكرمته ، واجتمع عليه البربر لما عرفوه فقاموا بدعوته وخلعوا طاعة بني العباس ، ونادوا به ملكا يوم الجمعة 4 رمضان عام 172 وخرج بجيوشهم غازيا ففتح المغرب ومكن للاسلام فيه ، ودخل تلمسان وبنى بها مسجداً ، وامتدت سلطته الى ما وراء شلف من المغرب الاوسط ، وكانت وفاته مسموما في وليلة في فاتح ربيع الثاني عام 177 وقبره بجبل زرهون معروف .

36) اسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي على ما عند ابن خلدون ، او عبد الحميد او عبد المجيد على ما عند غيره .

الفتوح عليهم احتقروا حصن مكناسة واستطالوا مدة اقامة الجيش عليه ، وظنوا بصاحب الجيش تقصيراً ، فبعث عبد المومن بن علي احد عظماء الموحدين ليطلع على ذلك ، فوافَى الجيش وعاتب اميره واستنقص جده وحقر الحصن واميره ، فأرسل امير الجيش الى امير المدينة يدر بن ولكوط يخبره بما لقي من الواصل اليه ، وسأل منه عملا تقوم له به الحجة عليه ، فبينما الموحدون قد اجتمعوا للقتال وهم يتفاوضون في كيفيته ، ويتواصون بالعزم والصبر ، اذا بباب المدينة قد فتح لعشرة من الفرسان ودفعوا كأنهم الطير سرعة ، او الرعد صولة ، وضربوا في الجيش ، وتبعهم عشرة بعد عشرة الى ان كملوا خمسين ، ونالوا من جيش الموحدين نيلا عظيما ، فراى الواصل من اقدامهم وجرأتهم وقوة شوكتهم وشدة بأسهم ما هاله ، فقال بلسان المصامدة (ذا امطيرايا) ومعناه هذا عجب ، وظهر عذر امير الجيش فيما ظن به من التقصير ، وتمادى الحصار واشتد التضييق وفنيت الأقوات ، واضطر الناس الى اكل خسيس الحيوان حتى عدم كل ذلك ، وهلك الناس قتلا وجوعا ، وفتحت البلاد للموحدين بالمغرب والاندلس طوعا وعنوة ، ومات الأمير تاشفين (37) بن امير

---

37) تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني ، بويع بعد وفاة والده سنة 537 بعهد منه . وكان امر الموحدين قد ظهر يومئذ بالمغرب فكانت ايامه كلها حروبا مع عبد المومن ، لم يأو فيها الى بلد ، ولا سكن الى اهل ولا ولد ، توفي قتيلا بوهران عام 539 .

المسلمين على (38) بن يوسف بن تاشفين (59) ملك المرابطين بساحل تلمسان على الصفة المشهورة (40) وقد ذكرها ابن خلدون وغيره ، ولم يبق للموحدين مناوء ولا منازع ، ويئس يدر بن ولكوط من الفتح والنصر ، ولم يكن له بالضبط طاقة ، فطلب النجاةَ بنفسه واهله ومن بقى من فرسانه خاصة ، واسلم المدينة ومن فيها من بقايا المنحصرين للردى ، وخرج في خمسين فارسا على ما ذكر ، ودخل الموحدون المدينة فسفكوا الدماء وسبوا النساء والذرية واستبحوا الأموال ،

---

38) علي بن يوسف بن تاشفين امير المسلمين ، ولد بسبتة عام 477 وبويع بمراكش بعد وفاة والده العظيم عام 500 بعهد منه ، واجتاز الى الاندلس مجاهداً فانتهى الى قرطبة وفتح طلاموت ووادي الحجارة ومجريط (مدريد) وسبعة وعشرين حصنا من اعمال طليطلة وكانت له مع النصارى معارك حالفه فيها الظفر ، وفي ايامه ظهر المهدي بن تومرت داعية الموحدين ، وظهر عبد المومن بن علي ظهوراً آذن بانقضاء اجل دولته ، فاضطربت اموره ومات غما بمراكش عام 537 وكان رجلا حليما وقوراً صالحا عادلا .

39) يوسف بن تاشفين اللمتوني الصنهاجي الحميري امير المسلمين باني مدينة مراكش ، واكبر ملوك الدولة المرابطية ، ولد عام 400 واستخلفه ابن عمه ابو بكر بن عمر على المغرب سنة 463 فاستقل به ، وانجد المستغيثين به من امراء الاندلس فاجتاز اليها مجاهداً وهزم الجيوش النصرانية في وقعة الزلاقة الشهيرة سنة 479 وبايعه بعدها من شهدها معه من امراء الاندلس وعددهم ثلاثة عشر اميرا ، ثم اخضع الامارات التي لم تبايعه لما راى من تلاعب امرائها وتواطئهم مع النصارى ، فتم له ملك الجزيرة كلها ، وشمل سلطانه المغرب الاقصى والصحراء وجل المغرب الاوسط ، وكانت وفاته بمراكش سنة 500 وبها دفن ، وهو من خيرة ملوك المغرب عدلا وديانة وحسن سيرة ومضاء عزيمة وبعد همة ، وقبره بمراكش شهير ، وقد جددته وزارة الاحباس في السنين الاخيرة .

40) بجرف الجبل المطل على وهران ، خرج في اواخر رمضان 539 ليتفقد حصنا بناه هنالك ، ويتشوف على السفن العشر التي امر قائد اسطوله بالمرية امير البحر محمد بن ميمون ليبعث بها الى مرسى ذلك الحصن تكون معدة لحادث يحدث عليه ، وان الجاته ضرورة الى الجواز الى الاندلس جاز ، فعلم الموحدون بخروجه ، فزحفوا على الحصن واحدقوا به من كل مكان واشعلوا فيه النيران ، فلما جن الليل خرج تاشفين يطلب النجاة بنفسه ، فركب فرسه التي كانت تدعى بالريحانة ، فتردت به من حافة بعيدة المهوى ، ووجد في الصباح ميتا بأسفل الحافة .

وتمادوا على ذلك يوما كاملا ، ونادا مناديهم في ءاخر النهار برفع السيف ، وعظم البلاء في ذلك اليوم على الناس ، وكان ذلك في اول عام خمسة واربعين وخمسمئة ، وهي ثانية السنة التي مات فيها عياض (41) بمراكش ، وثالثة السنة التي مات فيها ابو بكر بن العربي (42) بخارج فاس مسموما ، وهـو المشهور مدفنه هناك ، وكان نزول الموحدين على مكناسة في القول الصحيح آخر عام اربعين ، فمدة الحصار على هذا اربع سنين واشهر ، وبقيت المدينة خالية الا من فل الموت قتـلا وجوعا ، وتفرق ذلك الفل وانتثر عقد نظام الناس وجلا بعضهم واشتغل بعضهم بطلب المعايش ، وتعلقوا بالحرف والصنائع ، وتملك الموحدون البلاد والأموال ، وصار الناس عماراً في املاكهم يوخذ منهم نصف الفواكه الصيفية والخريفية وثلثا غلة الزيتون ، وكانت العادة اذا بدا صلاح الغلات يباع حظ المخزن منها حارة فحارة ، وكان المشترون لها قوما لا خلاق لهم يقال لهم القشاشون ، فتستطيل ايديهم على حظوظ الرعية ويضيقون عليهم حتى يبيعوا منهم حظوظهم بثمن بخس او يشترون منهم حظ المخزن غاليـا ،

---

41) القاضي الشهيـر عيـاض بن موسـى اليحصبي عالـم المغرب امام اهل الحديث في وقته ، ولد بسبتة عام 476 ، وتوفي بمراكش عام 544 . له تآليف كثيرة ، اهمها **الشفا والغنية وترتيب المدارك ، ومشارق الأنوار وغيرها** ، وقد جعلـه احمد بن محمد المقري الأساس الذي بنى عليه كتابه الجليل **ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض** .

42) القاضي محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الاشبيلي المالكي المعروف بأبي بكر بن العربي ، ولد باشبيلية سنة 468 ورحل الى المشرق وبرع في الأدب ، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين ، وصنف كتبا كثيرة في الحديث والفقه والأصول والتفسير والادب والتاريخ وتوفي قرب فاس عام 543 وقبره بها شهير عن يمين الذاهب من باب المحروق الى باب الساكمة .

فكان الناس من ذلك في جهد عظيم ومحنة شديدة لا يتجرأ احدهم ان يقطف من ملكه حبة واحدة ، ثم قوطعوا بعد ذلك على الفواكه ، وخفف عليهم في شركة الزيتون ، وكان السبب في المقاطعة والتخفيف فرار الناس عنها بسبب الجور وتركها حتى تبورت ، فصلحت بسبب المقاطعة احوال الناس ، ونمت اموالهم ، وامتدوا في الاحياء والغراسات ، وعمرت المدينة والحوائر والبسائط ، ونفقت الأسواق ، وقويت التجارة ، وصار المسافرون ينزلون بالمدينة ويبيعون ويشترون ·

وكانت في المدينة بداوة ، ثم تمدنت واكتسبت حضارة ، وزيد بعد الستمئة في جامعها الأكبر زيادة ظاهرة ، وجلب اليها الماء على ستة اميال من عين طيبة الماء عجيبة القدر بموضع يقال لها تاجما ، واجرى الماء الى الباب الجوفي من ابواب الجامع ، وسمى باب الحفاة ، وكان متصلا بالباب الذي يسمى لهذا العهد باب الزراعيين (43) ، وبنيت قريبا من هذا الجامع دار للوضوء حفيلة على مثال دار الوضوء بفاس ، وهذا كله في ايام الموحدين ·

وكان بهذه المدينة في ايام الموحدين ثلاثة حمامات ، البالي (44) والجديد (45) والصغير (46) وهي باقية لهذا

---

43) هذا الباب هو الباب الصغير المعد لدخول المؤذنين ليلا الى المسجد ، وهو متصل بباب الحفاة الشرقي القديم ·

44) هو المعروف اليوم بحمام مولاي عبد الله بن احمد ·

45) يعرف بهذا الاسم الى الآن ·

46) وبما كان هو الحمام المسمى الآن بحمام التوتة ، اذ هو اصغر حمام قديم بمكناس ·

العهد ، وكان احدث فيها يحيى بن غنصالبة (47) المهاجر المعروف بابن اخت الفنش في العشر الثانية من القرن السابع حماما كبيرا حفيلا محكما فجاء في غاية الاتقان ، وكان يحيى هذا فنشيا هاجر الى سلطان الموحدين واستوطن مكناسة مظهراً لدين الاسلام ، وكان يسكن بها في دار كبيرة بشرقي الجامع الأعظم مقابلة لأحد ابوابه تنسب لعلي بن ابي بكر احد حفاظ الموحدين ، كان قد ولي العمل بها ، وكان يحيى هذا قائد فرسان يتصرف في رد شرار البربر الرحالين ، وكان في زي الموحدين فاعلا للخير محبا في اهله ، وله في احداث هذا الحمام مناقب اشتهرت عنه من ارضائه اصحاب الديار التي اشتراها لذلك في اثمانها وغير ذلك ، وعمر هذا الحمام ما شاء الله تعالى ثم خرب منذ زمان ، وءاثاره باقية لهذا العهد عند سوق الغزل منها . وفيه يقول الاستاذ محمد ابن جابر في رجزه المسمى **بنزهة الناظر** :

وانما الحمام كان الفنش

ذاك الذي اذ كان كان العيش

وقد ذاكرت بذلك يوما ونحن بها شيخنا الخطيب البليغ احمد بن سعيد الغفجميسي فقال يعارضه من عير كبير روية :

هناك حمام" بناه الفنش

وهو الذي قد كان فيه الفحش

---

47) ربما كان غنصاليس Gonzales وهو من اسماء الأسبان الذائعة اما الحمام الذي احدثه فتوجد الآن في مكانه معصرة مجاورة لفران سويقة جبالة ، وما زالت احدى قبتيه شاخصة .

من الرجـال ومن النسوان
بكشف اعضاء لهم حسان

لأجل هـذا نابـه الخراب
فلم يكن بعد به طيـاب (48)

بل بان منه الماء والأكواب
فما له في جوفه انسكـاب

وصار مأوى البوم والوطواط
من غير درهم ولا قيـراط

والعنكبوت عمرت اركانـه
بنسـج أرديتهـا المهانـة

كذاك عقبى كل شكل زاه
حيد بـه عن طاعـة الالاه

وقد كان الشيخ احمد اللحياني الورتاجني ايام قيامه بمكناسة احدث بها حماما حول داره ودثر بعده ، ثم عمـر لهذا العهد ينسب اليه ، فيقال له حمام المريني (49) ، وهو الآن رابع حمامتها ٠

ويقال بلغت عمارتها الى ان كان بها اربعمئة مسجد (50) ، قال الاستاذ ابن جابر ، وحول كل مسجد سقاية ، فالله تعالى اعلم ٠

48) الطياب في اللغة العامية المغربية هو شخص مستخدم بالحمام يملأ الماء للمستخدمين ، ويكيس اجسادهم ويعينهم على الغسل ، والطيابة بالنسبة للنساء كذلك ، وواضح ان اصل الكلمة ومعناها عربيان ، اذ الطياب لغة المعالج بالطيب ، والمستطيب ايضا من يسأل الماء العذب ٠

49) هو حمام السويقة الآن ٠

50) بمكناس اليوم نحو 80 مسجداً منها 13 معدة للخطبة ٠

وللمدينة ستة ابواب ، باب البراذعيين (51) وباب المشاوريين (52) وبمقربة منه هوايمي اي تجمي ، ودار الأشراف ، وجامع الخطبة القديمة ويعرف لهذا العهد بجامع النجارين ، وباب عيسي (53) وباب القلعة (54) وكان يسمى بهذا الاسم قبل ان تبنا هنالك القصبة على ما يظهر من كلام بعضهم والله تعالى اعلم · وباب اقورج (55) ، وباب دردورة (56) ، وربما قيل له باب الصفا ·

وكانت اقطارها سبعة اسباع : زرهون ، وبنو كلثوم ، وبنو ورتنسكين ، وولهاصة ، وبنو دنون ، (زجيان) وابي اركان بالجيم المعقودة ، وبنو ابي السمح ·

ونمت هذه البلاد وعمرت ولم تزل في نمو وقوة حتى انتهت مجابيها الى مئين من الآلاف ، ثم اختلت بجور العمال ، واخذت في النقص من سنة كائنة العقاب ، وكانت

---

51) باب واقع في غرب المدينة معروف بهذا الاسم الى اليوم ·

52) هدم هذا الباب في القرن الحادي عشر وبنى وراءه غربا الباب المسمى اليوم باب بريمة ·

53) هدم هذا الباب وزيد في القصبة ، وموضعه الآن بين باب سعيد ـ بكسر الياء المشددة ـ وضريح سيدي عبد الرحمان المجذوب ·

54) هدم هذا الباب وزيد في القصبة ، ومكانه الآن قرب باب العلوج الذي سمي فيما بعد باب منصور العلج ·

55) باب اقورج او قورجة هدم وزيد في القصبة ، وبنى الى الشمال منه باب يسمى باب عبد الرزاق كان يخرج منه للحبول ثم هدم ·

56) هدم هذا الباب وموضعه الآن بباب تزيمي ·

كائنة العقاب في صفر من سنة تسع وستمئة (57) ، ثم تفاقم الأمر عند قيام بني مرين على الموحدين ، واتت الفتنة على الحوائر المذكورة كلها ودثرت ، ولم يبق منها الا الصوامع والجدرات العتيقة ، وآخر ما خرب منها ودثر ورزيغة بعد ما كانت هذه الحوائر شاركت المدينة المذكورة بعد بنائها في كثرة العمارة والبقاء لله وحده ·

نقلت اكثر ما ذكرته من تقييد وجدته للقاضي ابي الخطاب سهل بن القاسم بن عبد الله بن محمد بن حماد بن محمد ابن زغبوش ، وقال فيه ان حماداً هذا الذي ينسب اليه بيت بني حماد من بيوت الزغابشة كنيته ابو عيسى يلقب بالقبي لما تزوج بنى دار النارنج بحارة تاورا في اسرع زمان ، كان بها مجلس كبير عال محكم البناء ، زعموا انه بناه في اسبوع ، وبقيت الدار قائمة يسكنها عقبه الى اوائل المئة السابعة ·

ومحمد بن حماد كان فقيها قرأ بقرطبة وبغيرها وصحب جلة من اهل زمانه ، وهو الذي امتحنه يدر بن ولكوط مع قرابته السبعة حسبما تقدم ، وعبد الله بن محمد بن حماد قرأ في صغره بمدينة فاس ومنها هاجر الى الموحدين وقرأ بعد

57) جرت هذه المعركة المعروفة عند مؤرخي المغرب بوقعة العقاب بهضاب تولوسا Las Navas di Tolosa يوم 15 صفر سنة 609 الموافق 16 يوليوز 1212 بين القوات المغربية بقيادة السلطان محمد الناصر بن الخليفة يعقوب المنصور الموحدي ، وبين جيش مسيحي عظيم يشتمل — فضلا عن الاسبانيين — على عشرات الآلاف من الصليبيين الذين جاءوا تحت رئاسة ملوكهم وامرائهم ورهبانهم من مختلف انحاء اوربا لمعاونة ملوك اسبانيا النصارى ·

على رجال الحضرة ومعهم ، وكانت له عناية بتآليف الامام المهدي (58) ، وبما املاه خليفتهم عبد المومن ، وله في اثبات هذه الهداية موضوع استخرجه بالاستقراء من الكتاب العزيز ، كان شيوخ طلبة الموحدين يسألون ابدأ عن هذا الكتاب ، ويثنون عليه وعلى واضعه الى ان وليَ الشيخ اسماعيل بن محمد بن ايوب المصالي باشمام الصاد زايا عملَ مكناسة ، وكان متشيعا للمهدي حافظا لتئاليفه ، قائما على مذهبه من طلبة الموحدين ومن زهادهم ، وكان ناقداً عليهم غير راض عما ابتدعوه ، فألح في طلب هذا الكتاب حتى ظفر به ، فكان آخر العهد به ، وكأن عبد الله المذكور قد استقضاه امير المومنين يوسف (59) ابن عبد المومن بن علي بمدينة شاطبة وجزيرة شقر ، ومن ذلك الوقت استقر بشرق الأندلس بعض ذريته ، ولما اسن رغب في ايطان بلده ، فأسعفت رغبته واستوطن داره بتاورا الى ان مات سنة اربع وتسعين وخمسمئة في سن الثمانين ،

---

58) ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت الهرغي المصمودي المعروف في كتب التاريخ بالمهدي ابن تومرت ، ولد بقبيلة هرغة سنة 485 ورحل الى المشرق في شبابه فحج ودخل العراق يقال انه لقي به الفيلسوف الكبير ابا حامد الغزالي ، وعاد الى المغرب ، فشرع يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ولقي في طريق رجوعه عبد المومن بن علي بقرية ملالة قرب بجاية فاصطنعه لنفسه ، واصطحبه الى المغرب وشرع واياه في الدعوة الى حركتهما التي انتهت بقيام الدولة الموحدية ، توفي عام 524 ودفن بقرية تنمل قرب مراكش .

59) الخليفة ابو يعقوب يوسف بن عبد المومن بن علي الكومي الملقب بالعسري ثاني خلفاء الدولة الموحدية ، ولد بتنمل عام 533 وبويع بعد وفاة والده عام 558 وكان حازما شجاعا مولعا بالعلم كثير الميل الى الحكمة والفلسفة ، وهو باني مسجد اشبيلية ، وله مقامات صدق في جهاد النصارى بالاندلس ، وفي احدى غزواته اصيب بجراحات فأراد الرجع الى المغرب ولكنه توفي قرب الجزيرة الخضراء متأثرا بجروحه ، فحمل الى تنمل ودفن بها ، وكانت وفاته عام 580 فخلفه ابنه السلطان المجاهد يعقوب المنصور.

وزعموا انه لم يدخل قط تاكرارت التي هي مدينة مكناسة أنفة منه لما اصيب به والده وقرابته من المحنة التي تقدم ذكرها ، وكان اذا اراد لقاءً الشيخ محمد بن عبد الله بن واجاج تلقاه بالبحيرة التي تولى غراستها في ذلك التاريخ كما تقدم ، وكان ببلده مكرما وجيها يزوره قضاته وطلبته واعيانه ، واما القاسم ابنه فولي القضاءً بجهات المغرب وبجهات غرناطة ، ثم انقبض عن ذلك واقتصر على الفلاحة ببلده تاورا ، انتقل اليها سنة 597 فخرج للقائه اهل تاورا اوفر ما كانوا عدداً وثروة ، ومعهم السودان المسمون هنالك عبيد الحرمة ، رجال السودان يلعبون الثقاف بالحديد ، ويرقصون ، ونساؤهم يضربن ءالة اللعب ويغنين ، والزامر يزمر عليهم بأبي قرون ، وكانت هذه المناكر من عوائدهم في افراحهم ، واقام بتاورا حتى مات رحمه الله تعالى ، واما ابنه ابو الخطاب سهل الذي نقلنا من تقييده فذكر انه ولد بوادي ءاش ، وارتحل به ابوه الى تاورا ، ثم ارتحل هو بعد موت ابيه هناك الى الأندلس ءاخر سنة ست عشرة وستمئة ، وذلك لما توالت اسباب الخراب على تاورا وغيرها من الحوائر ، فولي بالاندلس قضاءً اماكن كثيرة ، مرة في رندة ، ومرة في ءاسجة ، ومرة في غيرهما ، وولي مرة قضاء طنجة ، ثم قدم آخراً مسدداً بمرسية والبقاء لله وحده

واظن اني وقفت في بعض التواريخ على ان بني عبدوس من جملة قرى مكناسة ، كبني برنوس ، والمفهوم من ذلك ان اهلها من جملة قبائل مكناسة ، واليهم ينسب العبادسة من بني معطي اعقاب الشيخ الفقيه المشاور المدرس موسى العبدوسي ، فمنهم ولده الفقيه المحدث الحافظ ابو

القاسم ، وولده ايضا الفقيه محمد ، وحفيده الفقيه المحدث الحجة شيخ شيوخنا عبد الله بن محمد بن موسى بن معطي العبدوسي ، وهم بيت كبير من بيوت العلم ، اقام فيهم العلم ورياسته دهراً طويلا حتى في نسائهم ، وآخر علمائهم ام هاني العبدوسية اخت عبد الله المذكور ·

ولما ظهر بنو مرين (60) وشنوا الغارات على بسائط المغرب واختل امر الموحدين كان من ثورة علي ابن العافية بمدينة مكناسة وقيامه على عامل الموحدين وتمكينه البلد من بني مرين ، ثم فرارهم عنها ورجوع الموحدين اليها واعتصام علي ابن العافية بالقلوع من جبل زرهون وخروج خطيبها الشيخ الصالح المتبرك به ابي علي منصور بن حرزوز مع صبيان المكاتب بألواحهم على رؤوسهم شفعاء لأهل بلدهم عند سلطان الموحدين لما قدم عليهم وقبول شفاعتهم ـ ما هو معروف ، ثم ازداد امر الموحدين ضعفا وعلا امر بني مرين ، فعادت اليهم مدينة مكناسة ، وذكر ابن خلدون ان امير بني مرين امر اهل مكناسة حينئذ ان يوجهوا بيعتهم الى الحفصي سلطان تونس ، فوجهوها اليه وكانت من انشاء قاضيهم احمد ابن عميرة ، ثم بعد ذلك استخلص بنو مرين بلاد المغرب كلها ، واستقلوا بالامر ، وصلحت احوال مدينة مكناسة ، ولم تعد العمارة بعد ذلك والله اعلم لحوائرها ، بل صارت كلها جنات ، وغرس الناس على ردومها ، وقد بقي من

---

60) بنو مرين اسرة زناتية ملكت المغرب من سنة 669 الى سنة 869 واستمر الملك في احد فروعها (بنو وطاس) الى عام 954 ·

ذلك لهذا العهد صومعة بني موسى ، وصومعة بني زياد ، ومسجد السور القديم وصومعته ، وحمام بني مروان في عرصة يقال لها اليوم عرصة الحمام ، وسقطت صومعة تاورا لنحو ستين سنة والله تعالى اعلم ·

وذكر ابن خلدون ان السلطان يعقوب المريني (61) لما فرغ من بناء البلد الجديد المسمى بفاس الجديد امر ببناء قصبة مكناسة (62) ، وبنا بها السلطان يعقوب ايضا مدرسة الشهود التي بأعلا سماطهم هناك ، ويقال لها مدرسة القاضي (63) لانها كان يدرس بها القاضي الحسن ابن عطية الونشريسي وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى ، ثم نوه بها ابو الحسن المريني (64) المسمى بأبي الحسنات الكثير الآثار بالمغرب الأقصى والأوسط والاندلس ، فبنا فيها

---

61) هو السلطان الجليل يعقوب بن عبد الحق المريني الزناتي سادس ملوك الدولة المرينية ، ولد عام 659 وتوفي بالجزيرة الخضراء مجاهدا زوال يوم الثلاثاء 22 محرم عام 685 ونقل جثمانه الى مقبرة شالة فدفن بها ·

62) كان ذلك في شوال سنة 671 وهذه القصبة هي الواقعة خلف سورها المقابل للهديم وظهر السمن ، وكان جامع للا عودة الواقع داخلها يسمى قديما جامع القصبة ، ويصعب في الوقت الراهن تحديد مسطحها نظراً للتغييرات العديدة التي طرات عليها سيما على عهد السلطان مولاي اسماعيل ·

63) هي المسماة اليوم بالمدرسة الفيلالية ·

64) هو السلطان الجليل علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني احد ملوك المغرب الكبار ، ولد في صفر 697 وبويع يوم الجمعة 25 ذي القعدة عام 731 وتوفي بهنتاتة ليلة الثلاثاء 27 ربيع الاول عام 752 وله بالمغارب والاندلس آثار باقية الى الآن ، وقد جمع اخباره ومآثره الخطيب الحاجب محمد ابن مرزوق التلمساني في كتاب جليل سماه **المسند الصحيح الحسن في محاسن مولانا السلطان ابي الحسن** ·

مرافـق كثيرة ، كـزاوية القورجة (65) وزاويـة بـاب المشاوريين (66) وغير ذلك من السقايات والقناطر فـي طرقاتها ونحوها ، ومن اجل ذلك المدرسة الجديدة (67) ، وكان قدم للنظر على بنائها قاضيه على المدينة المذكـورة عبد الله بن ابي الغمر ، فحدثني والدي رحمه الله انه كان يسمع ممن ادرك من الشيوخ ان السلطان ابا الحسن رحمه الله تعالى لما اخبر بتمام بنائها جاء اليها ليراها فقعد على كرسي من كراسي الوضوء حول صهريجها وجيء بالرسوم المتضمنة للتنفيذات اللازمة فيها فغرقها في الصهريج قبل ان يطالع ما فيها وانشد :

لا باس بالغالي اذا قيل حسن
ليس لما قرت به العين ثمن

ولما ولى ولده ابو عنان (68) نوه بها ايضا وتفقـد احوالها ، وكان من جملة ذلك ان امر بالاقتصار على عشرة

---

65) هذه الزاوية تقع براس عقبة الزيادين ، تطاول على طرف منها وزير الحربية السابق الباشا عبد الله بن أحمد وصيرها من جملة روض له ، وبقي الطرف الذي بـه المحراب على حاله ، ولما احتل الفرنسيون مكناس جعلوها مركزاً للبلدية والمراقبة والشرطة ، ثم بني بها بعد ذلك قصر انيق .

66) تقع هذه الزاوية عن يسار الداخل لدرب سيدي غريب قرب ضريح سيدي سلامة من حومة الحمامصيين ، ولا تعرف بهذا الاسم الآن ، كما ان معالمها تغيـرت وصارت مربطا للدواب .

67) هي مدرسة العطارين المنسوبة خطأ الى السلطان ابي عنان مع انها من انشاء والده ابي الحسن .

68) امير المسلمين المتوكل على الله ابو عنان فارس بن علي بن عثمـان بن يعقوب بن عبد الحق المريني ، ولد بفاس في 12 ربيع الاول عام 729 وبويع في تلمسان في حياة ابيه يوم الثلاثاء متم ربيع الاول عام 749 ومات مقتولا خنقه وزيره الحسن بن عمر الفودودي يوم السبت 28 ذي الحجة عام 759 كان حسن الخلق فارسا شهما حسن الثقافة ، فقيها يناظر العلماء فيصيب ويخطئهم ، وله بالمغربين الاقصى والاسط آثار باقية تدل على عظمة ملكه وحسن ذوقه .

من الشهود بها ، وعزل الباقين على كثرتهم ، وكان من جملة من اثبت في العشرة الذين عينهم الشيخ الحسن بن عطية الونشريسي رحمه الله تعالى ، فشق ذلك على بعض شيوخ الشهود المؤخرين لحداثة سن الحسن المذكور ، فصنع الحسن رجزأ ورفعه الى مقام السلطان ابي عنان يقول فيه :

نبدأ اولا بحمد الله
ونستعينه على الدواهي
ثم نوالي بالصلاة والسلام
على رسول دونه كل الأنام
وبعد ذا نسأل رب العالمين
ان يهب النصر اميرَ المومنين
خليفة الله ابا عنان
لا زال في يمن وفي امان
ملكه الله من البلاد
من سوس الأقصا الى بغدان
وبسر الحجاز والجهادا
وجعل الكل له مهادا
يا أيها الخليفة المظفر
دونك امري انه مفسر
عبدكم نجل عطية الحسن
قد قيل لا يشهد الا ان أسن
وهو في امركم المعهود
من جملة العشرة الشهود

نــص عليــه امركــم تعيينــا
وسنــه قــارب أربعينـــــــا
مع الذي ينتسب العبد اليـه
من طلب العلم وبحثه عليـه
على الفرائض لــه أرجــوزه
أبــرز في نظامهــا ابــريــزه
ومجلس لــه علــى الرسالــه
فكيف يرجو حاسد زوالــــه
حاشا امير المومنين ذاكــا
وعــدلــه قــد بــلــغ السماكا
وعلمــه قــد طبــق الآفاقــا
وحلمــه قــد جاوز العــراقــا
وجوده مشتهر في كل حــــي
قصر عن ادراكه حاتم طــي

ولم يزل اهلها ايام بني مرين في خير وثروة ، وكانت الصاعقة نزلت ايامهم على صومعة جامعها الأعظم والناس في صلاة العصر ، فقتلت نحو سبعة رجــال ، وهدمت بعض اركان الصومعة ودخلت في تخوم الأرض بباب بازاء الصومعة يعرف اليوم بباب الزرارعيين ، فانتدب لبنائها شيخ الاســـلام الفقيه موسى بن معطـــي المعـــروف بالعبدوسي ، واستنجد اهل اليسار منهم فجمعوا من المال ما اصلحوا به ما انثلم من الصومعة المذكورة فيما حدثني به

والدي والشيخ المعمر عبد الرحمان النيار موقت الجامع المذكور ومزوار (69) مؤذنيها .

وكانت المجاشر محدقة بها من كل جهة ، كل مجشر بمزارعه وغراساته ومراعيه ، الى ان ظهر فساد السعيد بن عبد العزيز في ارض المغرب ، وذلك في العشرة الثانية من القرن التاسع (70) فخلت المجاشر وانجلا عنها اهلها ، فيقال خلا من مجاشرها حينئذ اثنا عشر الف مجشر والبقاء لله وحده .

وكان زيتونها الذي تنسب اليه متصلا بها وبحاراتها من كل جهة ، وكانت له غلة عظيمة لا ياتي عليها الحصر ، فلما ثار بها الشيخ اللحياني الورتاجني وسام اهلها سوء العذاب وضبطها للحصار وعصبها بقائده ايوب بن يعقوب الشجاع الذي أربا بشجاعته وشهامته على عامل المرابطين بها يدر ابن ولكوط الذي تقدم ذكره ، وملكها اللحياني المذكور نحو عشرين سنة، وذلك في العشرة الثالثة والعشيرة الرابعة من القرن

---

69) لفظة عامية معنها الكبير المقدم على غيره ، ولم تبق اليوم تطلق الا على نقيب الشرفاء والولد البكر .

70) السلطان الذي كان يملك المغرب في العشرة الثانية من القرن التاسع ليس هو السعيد بن عبد العزيز ، بل هو ابو سعيد عثمان بن السلطان احمد بن السلطان ابي سالم بن ابي الحسن المريني ، ولد عام 784 وبويع عام 800 وتوفي عام 823 وهو والد السلطان عبد الحق المريني آخر ملوك بني مرين المقتول سنة 869 . اما السلطان محمد بن عبد العزيز الملقب بالسعيد فليس من اهل القرن التاسع بل الثامن ، بويع عام 774 وهو طفل صغير لم يستكمل اربعة اعوام وخلع عام 776 وفيه ألف لسان الدين ابن الخطيب كتابه (اعلام الاعلام ، **بمن بويع من ملوك الاسلام قبل الاحتلام)** .

التاسع ، فتوالت عليها الفتن بسبب ذلك ، وانقعر زيتونها قطعا واعذاقا واحراقا ، واتسع الخرق على الراقع ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، ثم تداركها الله سبحانه بدخول الأمير ابي زكرياء الوطاسي (71) ، وكان رضي الله تعالى عنه متمسكا بالدين ، محبا للخير مكرما لأهله ، متخلقا بالأخلاق الحميدة ، والشيم المرضية ، فأحسن الى اهلها ، وعفا عن اهل الجفاء منهم ، واسقط كثيراً من الوظائف الظلمية ، وجدد بها بعض الرسوم الدارسة ، وانشأ بجامعها المجلس المسمى بالأسبوع (72) لكون القراء يجتمعون فيه لقراءة القرآن العزيز في كل اسبوع ، وامر بتحويل باب الحفاء الى قرب دار الوضوء الكبرى التي تقدم ذكرها ، ورای ان ذلك انسب من الباب الجوفى الذي كان قبل ذلك للحفاة كما تقدم ، فلما حفر الصناع في الباب الموالي لدار الوضوء المذكور ليبنوا به مجرا للماء وجدوا ذلك مبنيا بناء متقنا ولم يكن عند احد به علم ، ولا بقي من مسنى المدينة من عنده من ذلك خبر ، فقضا الناس العجب من فطنة الامير المذكور رحمه الله تعالى.

وكان بهذا البلد علماء اجلة ، فمن مشاهيرهم الشيخ الفقيه القاضي الصالح محمد بن ورياش (73) كان يدرس **الموطأ** بالمدينة المذكورة ويملي عليه من **المنتقى**

---

71) لعله الوزير ابو زكرياء يحيى بن زيان الوطاسي وزير السلطان عبد الحق المريني المقتول غدراً سنة 852 .

72) يقع هذا المجلس في اعلا ساباط الاسبوع المحمول على الجدار الشرقي للجامع الكبير وعلى الجدار المقابل له من مدرسة القاضي ، وباب هذا المجلس في الصف الاول من الجامع .

73) انظر ترجمته في **اتحاف اعلام الناس** 3 : 580 .

للباجي ، **والاستذكار** لابن عبد البر ، ويفتتح مجلسه بذكر الله تعالى ، وكان يتبرك به ويلتمس منه الدعاء ، وقبره هناك معروف بالموضع المسمى بمسجد الشجرة ٠

ومنهم الفقيه الشهير العالم العلامة حائز قصب السبق في المعقول والمنقول ، محمد بن ابي الفضل بن الصباغ (74) رحمه الله تعالى ، وقد ذكره محمد ابن مرزوق (75) الجد في كتابه الذي صنف في مناقب ابي الحسن المريني وذكره عبد الرحمان ابن خلدون في كتاب العبر ، وذكره ابن الخطيب السلماني في بعض فهارسه ، وكان من كبار العلماء الذين استصحبهم السلطان ابو الحسن المريني في حركته الى افريقية ، كالفقيه الحافظ محمد السطي ، والاستاذ الزواوي ، واجتمع هنالك بالامامين ابن عبد السلام وابن هارون شارحي ابن الحاجب ، وبالامامين عبد الرحمان وموسى ابني الامام التلمساني ، واخذ معهم في العلم واعطى والله تعالى اعلم٠ وحدثني شيخنا الاستاذ السيد علي ابن منون الحسني انه بلغه عنه انه املا في مجلس

---

74) انظر ضرجمته في **اتحاف اعلام الناس** 3 : 581 ٠

75) محمد بن احمد بن محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني الملقب بالحاجب والرئيس والجد والخطيب ، ولد بتلمسان عام 710 ورحل مع والده الى المشرق صغيرا سنة 718 فاخذ العلم عن علماء اقطاره ، ثم عاد الى تلمسان سنة 733 فولى اعمالا دينية وسياسية ، ثم اتصل حبله ببني مرين فاستهوى افئدتهم واصبح المقدم لديهم حتى كان من ملوكهم من لا ينفرد عنه الا ببضع اهله ، ثم تقلبت به الاحوال فرحل الى القاهرة واتصل بالسلطان الاشرف فولاه مناصب علمية استمر قائما بها الى ان توفي عام 781 ، وبيته بيت علم وديانة بتلمسان ، وقد هاجرت منه اسر الى فاس بعد الاحتلال الفرنسي لتلمسان في القرن الماضي ٠

درسه بمكناسة على قوله عليه السلام : يا أبا عمير ما فعل النغير ؟ اربعمئة فائدة ، وكنت تأملت هذا الحديثَ فانقدح لي فيه زهاء مئتين وخمسين من الفوائد فقيدت رسومها ، ولم اجد فراغا لبسطها « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها » ، وحدثني بعض اعيان الاصحاب انه بلغه انالفقيه ابن الصباغ المذكور سمِعَ بمقصورة تلمسان المحروسة ينشد كالمعاتب لنفسه :

ياقلب كيف وقعت في أشراكهم
ولقد عهدتك تحذر الأشراكـا
ارضىً بذلٍ في هوىً وصبابة ؟
هذا لعمر الله قد أشقاكـــا

ومات رحمه الله تعالى غريقا في اسطول ابي الحسن المريني على ساحل تونس هو والفقيه السطي والاستاذ الزروالـي وغير واحد في نكبة ابي الحسن المعروفة ، ومن نظمه رحمه الله في العلاقات المعتبرة في المجاز وفي المرجحات له :

ياسائلا حصر العلاقات التي
وضع المجاز بها يسوغ ويجمل
خذهـا مرتبـة وكل مقابـل
حكم المقابل فيه حقا يحصل
عن ذكر ملـزوم يعوض لازم
وكـذا بعلته يعـاض معـلـل
وعن المعمم يستعاض مخصص
وكذاك عن جزء ينوب المكمل

وعن المحل ينوب ما قد حلـــه
والحذف للتخفيف فيما يجمل
وعن المضاف اليه ناب مضافه
والحد فلتخفيف فيما يجمـل
والشبه في صفـة تبين وصورة
ومن المقيد مطلق قد يبـدل
والشيء يسْما باسم ما قد كانه
وكذا يسَمَّى بالبديل المبْدل
وضع المجاور في مكانة جـاره
وبهذه حكم التعاكس يكمـــل
واجعل مكان الشيء آلته وجيء
بمنكـر قصد العموم فيحصل
ومعرف عن مطلق وبــه انتهت
ولجلها حكـم التداخل يشمل
وبكثـرة وبلاغـة ولـزومـــه
لحقيقة رجحانه يتحصل (76)

ومنهم الفقيه الحافـظ ابراهيـم بن عبد الكريـــم الجروز (77) النهـم والفقيـه محـد القطـراني (78) قـال شيخنا محمد القوري انه بلغه انّ احدهما كان يستظهـــر كتاب ابن يونس والآخر يستظهر كتاب تبصرة اللخمي .

76) شرح هذه الابيات الفقيه احمد المنجور المتوفى سنة 995 .

77) ذكره المؤرخ ابن زيدان في **اتحاف اعلام الناس** 1 : 263 .

78) ذكره المؤرخ ابن زيدان في **اتحاف اعلام الناس** 3 : 597 .

ومنهم الفقيه المحصل الشريف الحاج المجاور ، محمد بن ابي البركات الحسني (79) ، رايت له نظما بليغا في علاقات المجاز ·

ومنهم الجماعة الذين لقيهم محمد ابن الخطيب بها عام واحد وسبعين وسبعمئة حسبما ذكر في رحلته المسماة **بنفاضة الجراب ، فيمن بقي من الأصحاب** (80) قال لما دخلها نزل بدار حافلة واتت اليه القضاة والعدول والادباء والفضلاء ، فمنهم الشيخ الفقيه القاضي كان بها عبد الحق بن سعيد بن محمد (81) كان من اهل المعرفة والفصاحة قائما على كتاب ابي عمرو بن الحاجب ، ممتاز به فيما دون تلمسان ، قرأه على الشيخين علمي الأفق القبلي ابي موسى وابي زيد ابني الامام ، وتصدر لاقرائه الآن ، فما شئت من اضطلاع ومعرفة ، وقيد جزءاً نبيلا على فتوى الامام ابي بكر بن العربي المسماة **بالحاكمة** سماه **بالجازمة على الرسالة الحاكمة** اجاد فيه واحسن · وقرأت عليه بعضه واذن في تحمله ·

ومنهم الفقيه الفاضل الخير يونس بن عطية الونشريسي (82) له عناية بفروع الفقه وولى القضاء بقصر كتامة ·

---

79) ذكره المؤرخ ابن زيدان في **اتحاف اعلام الناس** 3 : 597 ·

80) الاسم الحقيقي لهذا الكتاب : **نفاضة الجراب ، في علالة الاغتراب** ·

81) انظر ترجمته في **اتحاف اعلام الناس** 4 : 517

82) انظر عنه **نفح الطيب** 7 : 271

ومنهم الفقيه العدل الحسن بن عثمان بن عطية (83) من اهل الحساب والقيام على الفرائض والعناية بفروع الفقه ومن ذوي السذاجة والفضل ، ويقرض الشعر ، وله ارجوزة في الفرائض مبسوطة العبارة مستوفية المعنى ·

ومنهم الفقيه العدل الخير محمد بن احمد بن ابي عفيف (84) المتصدر لقراءة كتاب **الشفا** النبوي ، لديه جملة حسنة من اصول الفقه اشف بها على كثير من نظرائه قراءة منه اياها على محمد بن ابي الفضل ابن الصباغ ، وشاركه في قراءتها على الامام محمد الابلي ·

ومنهم الفقيه المدرك الاستاذ في فن العربية عمر بن عثمان الونشريسي (85) حضرت مذاكرته في مسألة أعوزت عليْه وطال عنها سؤاله ، وهي قول الشاعر :

الناس أكيس من ان يمدحوا رجلا

ما لم يروا عنده ءاثار احسان

وصورة السؤال كيف صح وقوع أفعل بين شيأين لا اشتراك بينهما في الوصف اذ أوقع الشاعر أكيس بين

---

83) التهجاني المكناسي المعروف بالونشريسي المتوفى سنة 801 انظر عنه **اتحاف اعلام الناس** 3 : 2 .

84) شيخ محمد ابن الخطيب ، لقيه بمكناس ، وذكر عنه في **نفاضة الجراب** ما اورده ابن غازي في **الروض الهتون** غير منسوب اليه · انظر **نفح الطيب** 7 : 271 ·

85) من شيوخ محمد ابن الخطيب ، لقيه بمكناس : توفي في عام 810 انظر **اتحاف اعلام الناس** 5 : 484 **ونفح الطيب** 7 : 272 ·

الناس وبين ان يمدحوا وهو مؤول بالمصدر وهو المدح ولا يوصف بذلك (86) ·

ومنهم الشيخ الفقيه العدل الأديب الأخباري المشارك احمد بن محمد بن ابراهيم الأوسي الجنان (87) من اهل الظرف والانطباع والفضيلة ، كاتب عاقد (للشروط) ناظم ناثر مشارك في فنون من العلم ، له تصنيف حسن في ثلاثة اسفار اسمه **المنهل المورود ، في شرح المقصد المحمود** شرح فيه وثائق ابن القاسم (88) فأربا على الاجادة بيانا وافادة ، وناولني اياه واذن في حمله عنه ، وانشدني كثيراً من شعره ، فمن ذلك ما صدر به رسالة يهني بها ناقها من مرض :

البس الصحة بردأ قشيبا
وارشف النعمة ثغراً شنيبا
واقطف الآمال زهراً نضيراً
واعطف الاقبال غصنا رطيبا
ان يكن ساءك وعد تقضى
تجد الأجر عظيما رحيبا

86) قال احمد المقري في **نفح الطيب** : الاشكال مشهور ، والجواب عنه بضرب من المجاز ظاهر ، وقد اشار اليه ابو حيان في **الارتشاف** وجماعة آخرون في قول بعض المؤلفين كقول صاحب **التلخيص** (اكثر من ان تحصى) ولولا السآمة لذكرت ما قيل في ذلك ، وخلاصة ما قالوه ان في الكلام تقديرا ·

87) احد شيوخ محمد ابن الخطيب ، ذكره في **نفاضة الجواب** مع من لقيهم بمكناسة ، انظر عنه **اتحاف اعلام الناس** 1 : 322 و**نفح الطيب** 7 : 272

88) **في نفح الطيب** : وثائق الجزري ، وفي **اتحاف اعلام الناس** : ابن القاسم الجزيري ·

فلْتعش دهرك ذا في سرور
يصبح الحاسد منه كئيبا

قال : وقرأت بالدور الخشبي بالدار الذي نزلت بها ابياتا منتقشة استحسنتها لسهولتها فأخبرني انها من نظمه وهي :

انظر الى منزل اذا نظرت
عيناك يعجبك كل ما فيه
ينبيء عن رفعة لمالكه
وعن ذكاء الحجا لبانيه
يناسب الوشى في اسافله
ما يرقم النقش في اعاليه
كأنه روضة مدبجة
جاد لها وابل بما فيه
فأظهرت للعيون زخرفها
وأوقفتها على تحليه
فهو على بهجة تلوح به
ورونق للجمال يبديه
يشهد للساكنين ان لهم
من جنة الخلد ما يحاكيه

في ابيات اخرى ٠

قال :

وفاتحته محركا قريحته ومستثيرأ ما عنده بقولي :

ان كانت الآداب اضحت جنـــة
فلقد غدا جنانها (89) الجنـــان
أقلامه القضب اللدان بدوحها
والزهر ما رقمته منـــه بنـــان

وذكر ابن الخطيب بعد البيتين سجعا بليغا ثم قــــال فراجعني الجنان بما نصّه :

ياخاطب الآداب مـــهـــلا فقـــد
ردك عن خطبتها ابن الخطيب
هل غيره في الأرض كفؤ لها
وشرطها الكفأة قــول مصيب
اصبح للشرط بهـــا معرســـا
فاستفتِ في الفسخ ، فهل من مجيب ؟

ايها السيد الذي يتنافس في لقائه ويتغالا ، ويصادم بولائه صرف الزمان ويعـــالا ، وتستنتج نتائج الشرف بمقدمات عرفانه ، وتقتنص شوارد العلوم برواية كلامـــه ، فكيف بمداناة عيانه ، جلوتَ عليَّ من بنات فكرك عقائـــلَ نواهد ، واقمت بها على معارفك الجمة دلائل وشواهـــد ، واقتنصت بشرك بديهتـِك من المعالي اوابدَ شوارد ، وفجرت من بلاغتك وبراعتك حياضا عذبة الموارد ، ثم كلفتني مـــن

(89) الجنان في عربية المغاربة هو البستاني في عربية المشارقة .

اجراء ظالعي في ميدان ضليعها (90) مقابلة الشمس المنيرة بسراج عند طلوعها ، فأخلدت اخلاد مهيض الجناح ، وفررت فرار الأعزل عن شاكي السلاح ، وعلمت انني ان اخذت نفسي بالمقابلة ، وادليت دلو قريحتي للمساجلة ، كنت كمن كلف الأيام مراجعة أمسها ، او طلب ممن علته السماء محاولة لمسها ، وان رضيت من القريحة بسجيتها ، واظهرت القدر الذي كنت امتحت من ركيتها ، اصبحت مسخرة للراوين والسامعين ، ونبت عن اسمى دواوينهم كما تنبو عن الأشيب عيون العين ، ثم امرك ياسيدي لا يحل وثيق مبرمه ، ولا يحلّ نسخ محكمه ، فامتثلته امتثالَ مَن لم يجد في نفسه حرجا من قضائك ، ورجوت حسن تجاوزك واغضائك ، ابقاك الله قطبا لفلك المكارم والمئاثر ، وفصا لخاتم المحامد والمفاخر ، والسلام .

قــــال :

ومنهم القاضي بها الشيخ الفقيه الخير محمد بن علي بن ابي رمانة (91) ، شيخ فاضل من اهل الحياء والحشمة ، وذوي السذاجة والعفة ، داعبته وقد تأخر عني يوم وصولي بما تقرر عذره وعفا على عتبه الاعتاب فقلتُ :

---

90) الظالع الذي اصابه الظلع ، وهو شبه العرج ، والضليع القوي على فعل ما يريد ، وفي خطبة الحريري عنه وعن بديع الزمان : (وانى يدرك الظالع شـــأو الضليع ؟) .

91) انظر **نفح الطيب** الجزء السابع ص 70 وص 273 **واتحاف اعلام الناس** 3 : 398 .

جفا ابن ابي رمانة وجه مقدمي
ونكب عنى معرضا وتحاماني
وحجب عنى حبه غير جاهل
بأنى ضيف" والمبرة من شاني
ولكن درانى مغربيا محققـــا
وان طعامي لم يكن حب رمان

وذكر بعده نثراً بديعا يوقف عليه في محله (92) انتهى.

فاما الجنان هذا فليس هو من بني الجنان المشهورين هناك ، وهم اخوالي ، وقد ادركت ابنته لصلبه ام الحيـاء عجوزاً عمياء ، واما ابو عبد الله محمد بن ابي عفيف فهـو جدي ابو امي رحمهم الله تعالى ، واما ابو محمد بن سعيد بن محمد المكلاتي فقد كان شيخنا الفقيه الحافظ محمد

---

92) نص النثر البديع حسبما ما اورده المقري في **نفح الطيب** 7 : 71 نقلا عن **نفاضة الجراب** :

« زيارة القاضي اصلحه الله لمثلي ممن لا يخافه ولا يرجوه ، تجب من وجوه ، اولها كوني ضيفا ، ممن لا يعد عند الاختبار زيفا ، ولا تجر مؤانسته حيفا ، فضـــلا عن ان تشرع رمحا او تسل سيفا ، وثانيها اني امت اليه من الطلب ، بنسب ، بين موروث ومكتسب ، وقاعدة الفضل قد قررها الحق واصلها ، والرحم كما علم تدعو لمن وصلها ، وثالثها المبدأ في هذا الغرض ، ولكن الواو لا ترتب الا بالعرض ، وهو اقتفاء سنن المولى ايده الله (يعني السلطان ابا سالم المريني) في تأنيسي ، ورابعها – وهو عدة كيسي ، وهزبر خيسي ، وقافية تجنيسي ، ومقام تلويني وتلبيسي – مودة رئيس هذا الصنف العلمي ورئيسي (يعني الخطيب ابن مرزوق) فليت شعري ما الذي عارض هذه الأصول الاربعة ، ورجح مذاهبها المتبعة ؛ الا ان يكون عمل اهل المدينة ينافيها ، فهذا بحسب النفس ويكفيها ، وان تعذر لقاء او استدعاء ، وعدم طعام او وعاء ، ولم يقع نكاح ولا استرعاء ، فلم يتعذر عذر يقتضيه الكرم ، والمنصب المحترم ، فالجلة الى التمس الحمد ذات استباق ، والعرف بين الله والناس باق ، والغيرة على لسان مثله مفروضة ، والأعمال معروضة ، والله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة ! وان كان لدى القاضي في ذلك عذر فليفده ، واولى الاعذار به انه لم يقصده ، والسلام.

القوري يحكى ان السلطان ابا عنان استقدمه من مكناسة فقدم عليه ومعه اتباعه واعوانه ، فلما بلغ باب المشور بالبلد الجديد تركهم مع بلغته ودخل على السلطان فعزله من خطة القضاء بسبب عدم مبالاته به في تنفيذ الحق ، فخرج فوجدهم فروا عن بغلته ، ثم بدا للسلطان من وقته فاسترجعه واستعطفه واعاده لخطته ، فلما خرج وجدهم دائرين بالبغلة ، وهذا شأن الناس كما قيل :

الناس اعوانِ من واتَتْه دولته
وهم عليه اذا خانته اعوان

ومنهم الزغابشة وقد انتقل بعضهم لعدوة الاندلس ، وبعضهم لمراكش ، وقد ذكر ابن عبد الملك (93) في تكملته جماعة منهم ، فمن قدمائها منهم احمد بن محمد بن حماد الممتحن مع قرابته السبعة كما تقدم ، كان فقيها حافظا لكتاب الله تعالى كثير التلاوة له متدينا ماهرا مع ذلك في معرفة الهيأة والتعديل ، عمي ءاخر عمره ، فلما كان عند الموت تلا « فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » ، فحدث حاضرون ان الله تعالى رد عليه بصره ، قال حفيد اخيه ابو الخطاب : فلا أدري أنص

---

93) ابو عبد الله محمد بن عبد الملك الانصاري الاوسي من اهل مراكش ، العلامة الحافظ التاريخي النقاد ، ولد بمراكش عام 634 وتوفي بتلمسان عام 703 اما كتابه المشار اليه فسمه الكامل : **الذيل والتكملة لكتابي الدوصول والصلة** ، يوجد جزؤه الاول بالخزانة الملكية تحت عدد 269 .

لهم على ذلك ام استدلوا بالتلاوة ، ومنهم ابنه قاضيها علي ، ومنهم صهره ابو اسحاق بن ابي العافية .

ومنهم العبادسة المشار اليهم فيما تقدم ، ومنهم الحسن الونشريسي الفقيه الاكبر عمُّ الحسن الأصغر متقدم الذكر .

ومنهم بنو العافية ، ومنهم بنو جابر ، والعهليونيون ، وبنو اركان ، ومنهم بنو عبد المنان ، ومما اشتهر من الحكاية عن بعضهم وهو والله اعلم احمد بن يحيى بن عبد المنان (94) انه عرض له الشيطان فيما بين فاس ومكناسة فقال :

اكلتم السابح في لجة
ولم تفلتوا ذوات الجناح
هذا وقد عرضتم للفنا
فكيف لو خلدتم ياوقاح

فأجابه ابن عبد المنان ارتجالا :

بالعقل قد فضلنا ربنا
وسخر الفلك لنا والرياح
والحوت والطير متاع لنا
فما علينا فيهما من جناح

---

94) احمد بن يحيى بن احمد بن عبد المنان الخزرجي شيخ العلامة ابن جابر الغساني ، ذكره في شرحه على التلمسانية في الفرائض ، ووصفه بالفقيه العلم رافع راية الشعر الادب في عصره ، كانت وفاته عام 792 انظر عنه **اتحاف اعلام الناس** 312:1

وانمـــا المـوت هنـاء لنـا
فنقلتنا الى دار الفــلاح (95)

ومنهم بنو الصباغ وبنو العريف ، وبنـو خـــالـــد ، ومنهم علي بن حبق ، وقد حدثني الشيخ المعمر عبد الرحمان النيار مزوار المؤذنين بجامعها الأعظم ان ابن حبق هذا رئى في المنام بعد موته فسئل عما لقي من الله سبحانه فأنشد :

حسبـوا عـلي وقـيــدوا
فعـل القبيـح مـع الحسـن
ورايـت امـرأ هـائـــلا
حتـى لعمـري كـــدت ان
وعفـوا وذلـك شـأنـهـم
لله در ابـــي الحســـن

وانشدني شيخنا علي بن منون الحسني (96) لابـــن حبق المذكور :

عبد من الحسنات اصبح مفلسا
وبضدها ثوب الديانة دنسـا

---

95) رواية الابيات كما في اتحاف اعلام الناس :

بالمعقـل قـد فضـلنا ربـنـا وسخر الفـلك لـنـا والـرياح
فالحوت والطيـر متـاع لـنـا وما علينا فيهما من جنـــاح
وان غـدونـا عـرضة للفـنـا فنقلتنا الـى دار الـــفـــلاح
فـانـه يفضـي الـى دعـــوة لدار خلد ليس عنها بـــراح

96) علي بن محمد بن علي منون الحسني المكناسي الفقيه المحدث المفسر ، ولد عام 790 وتوفي عام 854 . انظر عنه **اتحاف اعلام الناس** 5 : 451

يمسي ويصبح للخطايا كاسبا
لم ينهه مر الصباح ولا المسا

يعاتب نفسه رحمه الله

وممن سكنها الاستاذ احمد البطريني جد صاحبنا قاضي الجماعة بفاس ومفتيها محمد المكناسي ولها ينسبون ·

وممن سكنها الاستاذ احمد الغماري ، كان شديد الحفظ للقرآن العزيز ، يسأل عما قبل الآية فيجيب مسرعا ·

ومنهم استاذها احمد الغماز ، كان شديد الحفظ وكان استاذ الاقراء واستاذ الغناء ، وكان له تلامذة يحسنون الصناعتين ·

ومنهم قاضيها ابو المطرف ابن عَميرة (97) وقد ذكره ابن الخطيب في **الاحاطة** ·

ومنهم ابن عبدون (98) حائز قصب السبق في الشعر والكتابة ·

---

97) احمد بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن عميرة المخزومي البلنسي قاضي مكناس يكنى ابا المطرف ، الفقيه المحدث الكاتب المتفنن الشاعر البارع ، ولد بجزيرة شقر وقيل ببلنسية عام 582 وتوفي عام 656 · انظر عنه **الاحاطة ، في اخبار غرناطة** 1 : 179 **واتحاف اعلام الناس** 3 : 578

98) محمد بن عبدون بن قاسم الخزرجي المكناسي ، عالم اديب ، توفي عام 659 · انظر **اتحاف اعلام الناس** 3 : 578

ومنهم خطيبها عبد الله ابن عون ، حدثني شيخنا احمد بن بن سعيد الخطيب ان السلطان ابا عنان لما ان سمع جزالته في خطبته قال لبعض خواصه : اهنا هذا ؟ اعجابا به ·

ومنهم خطيبها ابن عبد الله ؟

ومنهم بنو حرزوز ومن جملتهم خطيبها الشيخ الصالح المتبرك به منصور ابن حرزوز ، ومنهم مؤلف **زهر الآكام** كان يسكن بدرب النخلة على مقربة من دار الدباغ ·

وممن سكنها واستوطنها ولي الله تعالى الشيخ الصالح العارف الورع الرباني سيدي احمد ابن عاشر (99) ومسجده بها معروف ، ومنها انتقل لسلا ، وفيه يقول ابن الخطيب في قصيدته العينية السلوية التي وجهها الى سلا ايام خلف بها اهله وولده :

بولـيٍّ الله فابدأ وابتـدر
واحد الأحاد في باب الورع

ومنهم الفقيه عمران الجناتي (100) شيخ شيوخنا ، وكان قد قيد على **المدونة** عن شيخه موسى العبدوسي (101)

---

99) احمد بن عمر بن محمد ابن عاشر الاندلسي الانصاري الجزيري نزيل سلا ودفينها الولي الصالح المجمع على تقواه وصلاحه ، توفي بسلا عام 765 · انظر عنه **اتحاف اعلام الناس** 1 : 304

100) عمران بن موسى الجناتي المكناسي الفقيه الحافظ الضابط تلميذ العبدوسي وشيخ القوري ، توفي عام 830 بمكناس ودفن خارج باب عيسى ، وضريحه مجاور لضريح سيدي عبد الرحمان بن عياد المجذوب · انظر عنه **اتحاف أعلام الناس** 5 : 503

101) موسى بن محمد بن معطي العبدوسي ، من فقهاء المغرب الكبار انتهت اليه رئاسة العلم والفنون في زمانه ، توفي بمكناس سنة 776 · انظر عنه **اتحاف اعلام الناس** 4 : 361

تقييداً لا بأس به ، وهو الآن بجامع الأندلس من فاس كلأها الله تعالى ·

ومنهم الاستاذ المقريء الشاعر المجيد المحسن ، شيخ شيوخنا ، محمد ابن جابر الغساني ، ذو التصانيف الحسان ، والقصائد العجيبة ، وله تسميط البردة النبوية للامام محمد البوصيري ، ونظم **المرقبة العليا في تعبير الرؤيا** وهو بخزانة جامع القرويين عمره الله تعالى بذكره ، وله في التعريف ببلده مكناسة رجز بديع سماه **بنزهة الناظر لابن جابر** ·

ومنهم الشيخ الصالح الزاهد المتواضع حسن الأخلاق عبد الله بن حمد (102) المتبرك به حيا وميتا ، له بيت حسب بفاس ، كان ارتحل منها للمشرق فحج ولقي الأخيار من المشايخ ، فأشار عليه بعضهم فيما يقال باستيطان مكناسة فاستوطنها حتى توفي بها ، وله مناقب كثيرة رضي الله تعالى عنه ·

ومنهم ابو زكرياء الصبان الشيخ الصالح المدفون بأبي سهل ·

ومنهم الشيخ ابو زكرياء بن ترحالين يقال سماه البربر بذلك لشجرات أمرها بالارتحال من منابتها فارتحلت والله تعالى اعلم ، وهو الشيخ الصالح المدفون بوادي الكل ·

---

102) عبد الله بن حمد من بيت بني حمد احد بيوتات فاس الشهيرة ، فقيه صالح ، توفي بمكناس عام 833 · انظر عنه **اتحاف اعلام الناس** 4 : 498

ومنهم شيخ شيوخنا محمد بن عمر ابن الفتوح (103) اصله من مدينة تلمسان ، فانتقل الى فاس ثم الى مكناسة ، فأقام بها حتى مات هنالك ، رحمه الله تعالى ، حدثني شيخنا عبد الرحمان القرموني وكان قد ارتحل اليه من فاس والى رفيقه في العبادة عبد الله بن حمد المذكور فأقام يخدمهما بمدينة مكناسة تسعة اعوام ، ومن ثم كانت معرفته بوالدي رحمه الله تعالى ، ان السبب في انقطاعه للعبادة وزهده في الدنيا انه كان في ايام شبيبته حسن المنظر نظيف الثياب ، وكان من نجباء طلبة العلم ، فمرت به امرأة فجعل يسرف النظر اليها فقالت له اتق الله يابن الفتوح ، اما تعلم انه « يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور » ؟ فنفعه الله بكلامها ، ولما انتقل من تلمسان الى فاس اخذ الفقه عن شيخ الجماعة عيسى بن علال المصمودي ، وكان يقرأ ألفية ابن مالك بالمدرسة المتوكلية ، ويقيم اوده بالجامكية (104) المرتبة عليها ، ثم عرضت عليه رياسة التدريس للفقيه بمدرسة العطارين ، فاستخار الله تعالى

---

103) محمد بن عمر بن الفتوح الفقيه المحدث ، ولد بتلمسان ودرس بها على علمائها ، ثم انتقل منها لسبب ديني عاطفي ، فاستقر اولا بفاس ودرس النحو بالالفية في المدرسة المتوكلية العنانية ، ثم عرضت عليه رياسة تدريس الفقه بمدرسة العطارين فرفض ، ثم انتقل لمكناسة ولازم شيخها عبد الله بن حمد ، وكان يدرس البخاري بجامعها الأعظم ، وتوفي بها مطعونا عام 818 وهو اول من ادخل **مختصر خليل** للمغرب عام 805 . انظر **اتحاف اعلام الناس** 2 : 586 .

104) الجامكية اجرة الجند ، استعملت بهذا المعنى في المغرب على عهد الموحدين لوجود طائفة من الأغزاز في جندهم ، ثم اتسع اطلاقها فصارت تدل على كل راتب ، ولم يبق لهذه الكلمة اليوم وجود في عامية اهل المغرب .

فراى في المنامعجوزاً شمطاء سيقت له في عمارية (105) بأنواع الملاهي ، فعلم انها الدنيا فلم يقبلها ، وكان يضيق ذرعه من مخالطة من لا يحفظ لسانه عن الغيبة وغيرها من كلام الهجر ، ويتمنا لو وجد رفقاء يعينونه على الخير ، فدله بعض الناصحين على الشيخ الصالح عبد الله بن حمد واصحابه ، فارتحل اليه بمدينة مكناسة فظفر ببغيته ، وصار كما قيل :

(وافق شن طبقة ★ وافقه فاعتنقه)

وحدثني والدي رحمه الله انه كان يراه يقصد الى المساجد الخالية ويعمرها بقراءة القرآن العزيز ، وحدثني عبد الرحمان المزوار انه اول من ادخل **مختصر خليل** لهذه البلاد عام خمسة من القرن التاسع ، وانه اصابه الطاعون وهو يقرأ البخاري بالجامع الأعظم من مكناسة عند خزانة الكتب وذلك عام ثمانية عشر من القرن المذكور ، فحمل الى بيته بالمدرسة الجديدة ، فلما كان عند الموت لقنه بعض الناس فقال له : الشغل بالذكر عن المذكور غفلة !

وحدثني شيخنا الفقيه العلامة محمد القوري انه كان يقول سبب ارتحالي لفاس في طلب الفقه مسألتان سئلنا عنهما فلم يحضرنا جواب مع شهرتهما : مسألة المكثر من من النذور وهي في كتاب الايمان والنذور من **المدونة** ، ومسألة : من اشترى جارية فشرط انها ثيب فألفاها بكرا ـ ما

---

105) شبه هودج تحمل فيه العروس الى بيت زوجها ، وتسمى ايضا البوجة ، والقبة بالقاف المعقودة .

حضر اصحابنا فيهما شيء ، غير انهم قالوا هذا كمن تلف له قب فوجد حماما ! وهي منصوصة في نوازل ابن سهل انه ان شرط ذلك لغرض كما اذا كان شيخا كبيراً لا يطيق الافتراع او كان حلف ألا يطأ بكراً او ان لا يملكها فله ردها والا فلا ، وحدثني شيخنا محمد القوري ايضا انه لما كان بمكناسة فمرضت احدى يديه فلم يتمكن له مسح اذنيه الا باليد الصحيحة فلما مسح بها اليمنى واراد ان ينقلها لمسح اليسرى اشكل عليه الامر في استيناف الماء فلم يذكر فيه نصا فاحتاط وجدد ، وكان بينه وبين شيخ الجماعة عبد الله العبدوسي ود واخاء ، وكان كل منهما يفيد صاحبه ، فكتب اليه يخبره بما نزل به وبما فعل ، وهل يذكر فيها نصا فأجابه لا اذكر فيها شيئا ، ولو نزل بي مثل ذلك لفعلت فعلك .

ومنهم شيخ شيوخنا الفقيه الصالح الزاهد الرباني المربي محمد بن سعيد الحباك العفجميسي اخو شيخنا الخطيب احمد بن سعيد وشيخه كان والله تعالى اعلم في مقام الجلال ، لان الغالب عليه القبض ، وكان معاصره الشيخ عبد الله بن حمد المذكور في مقام الجمال ، لأن الغالب عليه البسط ، والله سبحانه اعلم .

ومنهم شيخ شيوخنا موسى ابن الحاج (106) كان اماما في علم العربية يقوم على تسهيل ابن مالك ويقرر ألفيته بجامعها الأعظم تقريراً حسنا وكثيراً ما كان ينشد متمثلا :

---

106) في **اتحاف اعلام الناس** : ابن الحجاج . انظر عنه 4 : 369 وهو على ما يظن صاحب الضريح بحومة التوتة .

خلت الديار فسدت غير مسود
ومن الشقاء تفردى بالسؤدد

حدثني بذلك عنه الشيخ المعمر محمد بن الأستاذ ابن جابر المذكور ·

ومنهم الشيخ المعمر الزكي المتفنن الحجة ، الحاج محمد ابن عزوز الصنهاجي (107) جود القرآن العزيز على الاستاذ ابن جابر المذكور ، وحفظ الحديث والتاريخ ، ونبغ في الطب ، وارتحل الى المشرق ، ولقي به جماعة من الأعلام واخذ عنهم ، كالامام العلامة محمد ابن مرزوق الحفيد (108) وغيره ، ورجع الى بلده مكناسة ، وانتفع به شيخنا محمد القوري كثيراً ، وحدثني عنه انه نزل ببعض المشارقة فقدم له طعاما عندهم يقال البازين ، فلم يصب منه كبير شيء ، فقال : ما لك لا تأكل ؟ فقال : انه لم يكن بأرض قومي فأجدني اعافه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الضب فعلم انه من اهل الحديث ، فبالغ في اكرامه ، وحدثني عنه انه سمع الامام الرباني ابا عبد الله البلالي الذي اختصر **الاحياء** للامام ابي حامد الغزالي يقول الذي جاء فيه : (الباذنجان لما اكِلَ له) اصح من الحديث الذي جاء فيه (ماء زمزم لما شرب له) ، او قال هو أمتن منه سنداً او كما قال ، قال شيخنا محمد القوري : وهذا

---

107) انظر عنه **اتحاف اعلام الناس** 3 : 597

108) محمد بن احمد بن محمد ابن مرزوق المجيسي التلمساني المعروف بابن مرزوق الحفيد احد كبار علماء المغرب المتقن للفقه والاصول والادب والحديث ، ولد بتلمسان عام 766 وتوفي بها عام 842 له كتب كثيرة جلها في علوم الدين · انظر عنه **نيل الابتهاج** ص 293 و**البستان في ذكر العلما والاولياء بتلمسان** ص 201 — 214 و**نفح الطيب** 7 : 339 ·

خلاف المعروف ، ثم اعاد الرحلة الى بلاد المشرق فمات هنالك رحمة الله عليه ، ثم تزوج ابي زوجه رحمة بنت الجنان رحمة الله عليها فهي امي ، والحاج المذكور والد اخوتي لأمي ، وقد كانت امي حفظت منه حديثا كثيراً من الصحاح وكادت ان تحيط حفظا بالأدعية الواردة في الصحاح ، فحفظت منها كثيراً في ايام الصغر فلم اتعب في حفظه بعد الكبر ولله الحمد ، وكانت رحمها الله تعالى ملازمة لدرس القرآن العزيز في المصحف ، وكان علـَّمـَتها كثيراً من تفسير قصصه واخباره فنفعتنا بذلك في الصغر غاية برد الله تعالى ضريحها ، وحدثتني عنه بحكايات وفوائد يطول جلبها ؛ وكان مع ذلك جيد القريحة في الشعر : حدثني الشيخ المعمر محمد بن الاستاذ ابن جابر قال : خرج ابي مرة بتلامذته لينزههم بعرصة كانت له بوادي ابي عماير ، واغفل تلميذه محمد ابن عزوز فلم يدعه فيهم ، فقال يعاتبه في ذلك :

ليت شعري وذاك ليس بمغنى
ما يرد الفوات حرف تمنى
اي ذنب قرفْته ياعمادي
فحرمنا من قربكم قرب عدن
ومنحنا الاعراض اذ عرض النا
س فأعظمْ بذلك الذنب مني
وهب الذنب فيه يعظم هلا
منكم كان حسن عفو وظني

في ابيات كثيرة .

فأجابه الاستاذ بقصيدة علق بحفظي منها :

يابديعا فاق البديع بنظـــــم
في عروض من الخفيف ووزن

يعني بديع الزمان وعلامة همدان ·

وكن له صديق من بني العافية يقال له يحيى ، وهو اخو الفقيه القاضي ابي العز ، فمرض فكواه طبيب كان هنالك يقال له ابن سالم فمات ، فرثاه بقصيدة رائية يقول فيها معرضـا بقتل الطبيب ابن سالم اياه بالكي :

ولقد كوى قلبي فراقك كـيـة
كادت تكون كما كواك المحور

ومنهم شيخ شيوخنا الفقيه الخير الناصح محمد ابن العافيـة (109) المعروف بالأحـول كان عيـبـه ، صحب شيخنا القوري انتفع به كثيراً وله موضوع في المسائل الواقعة في **المدونـة** في غير مواضعها ، وقد كان ابوه احمد قاضيا بالمدينة المذكورة ، فلما عرضت عليه الخطة بعد ابيه زهد فيها ، وهو اخو ابي العز ويحيى المذكورين فوق هذا ·

ومنهم الفقيه علي بن عمر ، وقد تقدم ذكر على التلاجدوتي ·

---

109) انظر عنه اتحاف اعلام الناس 3 : 579

ومنهم الفقيه المشاور المفتي الحجة ابو القاسم بن حبيب الحريشي ، كان عبد الله العبدوسي يثني عليه في مجلسه وقد ادركته بالسن فقط ·

ومنهم الفقيه العدل المعروف بابن سعدون ·

وممن ادركته منهم الفقيه الاستاذ القاضي محمد الغرناطي ، والقاضي الأعدل الثبت محمد ابن احضري ، والشيخ المعمر العدل الاديب المجيد الشاعر المفلق عبد الرحمن بن ثابت ، وقد كان في اسلافه مَن وليَ قضاءَ المدينة المذكورة فيما اخبرني به شيخنا القوري رحمه الله ، حدثني ابن ثابت المذكور انه كانت بينه وبين جدي للامام عبد الرحمن الجنان رحمه الله تعالى صداقة ، فكان من حسن عهده يراعي في ذلك على صغر سني ، وحدثني بمنافسة كانت بينه وبين الاستاذ محمد بن جابر بسبب القصيدة اللامية النبوية التي قالها في ايام المولد ومطلعها :

ألا حي الديار ديار ليلى
ومر بها اذا ادلجت ليلا
ومهما جئت مغناها سحيرا
فجرر للتحية فيها ذيلا

وهي قصيدة كبيرة عجيبة مشهورة عندهم ، وقال له عبد الله العبدوسي ذات يوم وقد رآه قوس او كاد : لا تنحن ياشيخ لا تنحن ، فقال مجيبا له بديهة :

ياسليل الكرام نفسي فـداكا
قلت لا تنحنن وانت كـــذاك
خفض الظهر فاعل الدهر منا
مع حال عدمت منها انفكاكا
خـتـم الله للجميع بخيــــر
انــه قــادر على فعــل ذاك

ومنهـــم الفقيه العـــدل الأرضى عبـــد الله بن العريف (110) ، كان مجتهداً في طلب العلم ، ورحـــل بسببه لفاس وروى عن الأستـاذ عبد الرحمان الجادري مقصورة شيخه عبد الرحمان المكودي التي مطلعها :

ارقنى بارق نجـد اذ سـرى
يومض ما بين فرادى وثنـا
اهبني اذ هب منه موهنـــا
ما سد ما بين الثريا والثرى
فيالــه مــن بــارق ذكــرنــي
من الهوى ما كنت عنه في غنى
اثار شوقا كان منى كامنــا
بين ضلوعي طالما فيها ثـوا

وروى عنه وعن غيره غيرها ، وظهرت نجابتـه ، الا انه اخترمته المنية في صغره كما اتفق لمعاصره ابي الفضل ابن المجراد بمدينة سلا وكان امر الله قدراً مقدورا ولم ادرك

---

110) انظر عنه اتحاف اعلام الناس 4 : 501

هذا الفاضل ، وقد كانت بيننا وبين نجله الفقيه القاضي الأرضى الأعدل محمد محبة ومواخاة ، وكان له حسن عهد ما رايته لغيره رحمه الله تعالى ·

وممن ادركته وزرته الشيخ الصالح الملامتي ذو المكاشفات التي لا تحصى ، والبركات التي لا تستقصى ، يعقوب المعروف بأبي فقف ، تواترت كراماته عنْد الخاصة والعامة من اهل مكناسة وفاس وغيرهما ، وفي حفظي منها ما لو دونته لخرج في كراريس ، والله تعالى اعلم ، وكفى بما ظهر عند موته كرامةً وبركة ، وذلك انه لما احتمل الى قبره خارج باب البِراذعيين منها اتبعته طير بيض ما ريئت الا في ذلك الوقت ، فكانت ترفرف على نعشـِه حتى ادخل قبره رضي الله تعالى عنه ، وراى ذلك كل من شهد جنازتـَه من الرجال ومن النساء ، وقد خرج اهل المدينة كلـُهم الا مـَن شذ ، ولم اكن هنالك يومئذ وكنت اقـرأ في فـاس ·

ولو تتبعنا من كان فيها من الأعيان والسادات ما طمعنا بالاحاطة بعشر عشره ، وقد كنت اردت ان اجمع من امكن منهم مرتبين على حروف المعجم ، فجمعت منهم جملةً صالحةً ثم خمدت القريحة عن ذلك وجمدت الطبيعة وعـاقت العوائـق وشـطَّ المـزار :

تكلفتني ليلى وقد شط وليهـا
وعادت عواد بيننـا وخطوب

وما برز من الغيب فهو المختار ، وربك يخلق ما يشاء ويختار ·

ولو لم يكن من مفاخر مدينة مكناسة الا اشتمال عملها على مدفن ولى الله تعالى المجمع عليه شيخ المشائخ سيدي ابي يعزى (111) لكان كافيا ، وقد ذكرت في الفهرسة الموسومة بالتعلل برسوم الأسناد ، بعد انتقال اهل المنزل والناد (112) بعض من لقيت بها كالشيخ الفقيه المتفنن عبد الرحمان الكواني (113) والشيخ الأستاذ علي ابن منون الحسني ، والشيخ الخطيب الاحفل احمد بن سعيد القَيْجَميسي (114) كما ذكرت هناك شيخنا العلامة محمد القوري فيمن لقيت بمدينة فاس كلأها الله تعالى ، وكان هذان الشيخان قد ارتحلا من مكناسة الى فاس ، وسبب ارتحالهما مشهور عند الناس فلنقبض عنه العنان والله تعالى المستعان .

وقد رايت ان اختم هذه المجموعة بما ذكر محمد ابن الخطيب في رحلته المسماة **بنفاضة الجراب ، فيمن بقي من الأصحاب** لما عرف بهذه المدينة قال :

(واطلت مدينة مكناسة في مظهر النجد ، رافلة في حلة الدوح ، مبتسمة عن شنب المياه العذبة ، سافرة عن اجمل المرأى ، قد احكم وضعها الذي اخرج المرعا ، قيد البصر ، وفذلكة الحسن ، فنزلنا بها منزلا لا تستطيع العين ان تخلفه

---

111) ابو يعزى يلنور بن ميمون من كبار صالحي المغرب ، توفي في اول شوال عام 572 ودفن بجبل ايروجان ، وحول ضريحه قرية تعرف به (مولاي بوعزة) باقليم الرباط . انظر عنه **التشوف** 195 .

112) هي فهرسة المؤلف عرف فيها بشيوخه ومقروءاته ، طبعت بالدار البيضاء سنة 1979 .

113) في **اتحاف اعلام الناس** 5 : 274 الكاواني ، توفي في حدود 860 .

114) كذا ضبطه احمد بابا التنبكتي في **نيل الابتهاج** ص 82

حسنا ووضعا ، من بلد دارت به المداشر المغلة ، والتفت بسوره الزياتين المفيدة ، وراق بخارجه للسلطان المستخلص الذي يسمو اليه الطرف ، ورحب ساحة ، والتفــاف شجرة ، ونباهة بنية ، واشراف ربوة ، ومثلث بازائها الزاوية القدمى المعدة للوراد ، ذات البركة النامية ، والمأذنة السامية ، والمرافق المتيسرة ، يصاقبها الخان البديع المنصب ، الحصين الغلق ، الغاص بالسابلة والجوابة في الارض يبتغون من فضل الله تقابلها غربا الزاوية الحديثة المربية برونق الشبيبة ومزية الجدة والانفساح وتفنن الاحتفال) .

والزاويتان معا من بناء امير المسلمين ابي الحسن المريني جدد الله تعالى عليه رحمته بفضله ، ألا ان الأولــى بناها في دولة ابيه ، والثانية بناها بعد استقلاله بالدولة .

ثم قال ابن الخطيب :

(وبداخلها مدارس ثلاث لبث العلم ، كلفت بها الملوك الجلة الهمم ، واخذها التنجيد ، فجاءت فائقة الحسن ، مــا شئت من ابواب نحاسية ، وبرك فياضة تقذف فيها صافــي الماء اعناق اسدية ، وفيها خزائن الكتب ، والجراية الدارة على العلماء والمتعلمين ، وتفضل هذه المدينة كثيراً مــن لداتها بصحة الهواء وتبحر اصناف الفواكه وتعمير الخزائن ومداومة البر لجوار ترابها سليما من الفساد معافى من العفن ، اذ تقام ساحات منازلها غالبا على اطباق الآلاف من الأقوات تتناقلها المواريث ، ويصاحبها التعمير ، وتتجافى عنها الآرض ، ومحاسن هذه البلدة المباركة جمة ، قال ابن عبدون من اهلها ولله دره :

ان تفتخر فاس بما في طيها
وبأنها في زيها حسناء
يكفيك من مكناسة ارجاؤها
والأطيبان هواؤها والماء

ويسامتها شرقا جبل زرهون ، المنبجس العيون ، الظاهر البركة ، المتزاحم العمران ، الكثير الزياتين والأشجار ، قد جلله الله سكراً ورزقا حسنا ، فهو عنصر الخير ومادة المجبى ، وفي المدينة دور نبيهة ، وبنى اصيلة ، والله تعالى وليُّ مَن اشتملت عليْه بقدرته ، وفيها اقول :

بالحسن من مكناسة الزيتون
قد صح عذر الناظر المفتون
فضل الهواء وصحة الماء الذي
يجري بها وسلامة المخزون
سحت عليها كل عين ثرة
للمزن هامية الغمام هتون
فاحمر خد الورد بين أباطح
وافتر ثغر الزهر فوق غصون
ولقد كفاها شاهداً مهما ادعت
قصب السباق القرب من زرهون
جبل تضاحكت البروق بجوه
فبكت عذاب عيونه بعيون
وكأنما هو بربري وافد
في لوحه (والتين والزيتون)

حييت من بلد خصيب ارضه
مثوى امان او مناخ أمـون
وضعت عليك من الالاه عناية
تكسوك ثـوبي امنة وسكون

انتهى ما قصدنا نقله من **نفاضة الجراب** ولم أكـن وقفت عليها حين ابتدأت هذا المجموع فلذلك اقتصرت فـي صدره على الخمسة الأبيات التي علقت بحفظي من هـذه القصيدة ٠

وقال في ريحانة الكتاب ، ونجعة المنتات (١١٤)

مكناسة مدينة اصيلة ، وشعب للمحاسن وفضيلة ، فضلها الله تعالى ورعاها ، واخرج منها ماءها ومرعاها ، فجانبها مريع ، وخيرها سريع ، ووضعها له في فقه الفضائل تفريع ، اعتدل فيها الزمان ، وانسدل الأمان ، وفاقت الفواكه فواكهها ولاسيما الرمان ، وحفظ اقواتها الاختزان ، ولطفت فيها الأواني والكيزان ، واعتدل للجسوم الوزان ، ودنا من الحضرة (١١٥) جوارها ، فكثر قصادها من الوزراء وزوارها ، وبها المدارس والفقهاء ، ولقصبتها الأبهة والبهاء ، والمقاصير والأبهاء (١١٦) ٠

---

١١٤) الفقرة المنقولة هي في الحقيقة من مقامة ابن الخطيب المسماة **معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار** ، وهي مدرجة على طولها في **ريحانة الكتاب** ، فلذلك عدها منها ٠

١١٥) يعني بالحضرة مدينة فاس ، وكانت يومئذ عاصمة بني مرين ، والحضرة في اصطلاح اهل المغرب هي العاصمة ٠

١١٦) لم يورد المؤلف بقية الوصف ، وهو قول ابن الخطيب : الا ان طينها ضحضاح ، لذي الظرف فيه افتضاح ، وازقتها لا يفارقها القذر ، واسواقها يكثر بها الهذر ، وعقاربها لا تبقي ولا تذر ، ومقبرتها لا يحتج عن اهمالها ولا يعتذر !

قال المؤلف محمد بن احمد بن محمد بن محمد ابن غازي العثماني منسوبا لابي عثمان وهو من قبيلة كتامة حسبما ذكر ابن خلدون في كتاب **العبر** :

نشأت بهذه المدينة كما نشأ بها اسلافي ، وقرات بها ثم ارتحلت الى مدينة فاس في طلب العلم اظنه سنة ثمان وخمسين وثمانمئة ، فأقمت بها ما شاء الله تعالى ، ولقيت من الاشياخ بالمدينتين جماعة ذكرت مشاهيرهم في الفهرسة التي سميتها بـ (**التعلل برسوم الاسناد ، بعد انتقال اهل المنزل والناد**) ثم عدت الى مدينة مكناسة فأقمت بها بين اهلي وعشيرتي زمانا ثم انتقلت الى مدينة فاس كلأها الله تعالى فاستوطنتها ٠

وكان ما كان مما لست اذكره
فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

وانما الدنيا قنطرة للعباد ، يعبرون عليها ليوم المعاد ٠

وما المرء الا كالشهاب وضوئه
يصير رماداً بعد ما هو ساطع
وما المال والاهلون الا وديعة
ولا بد من يوم ترد الودائع

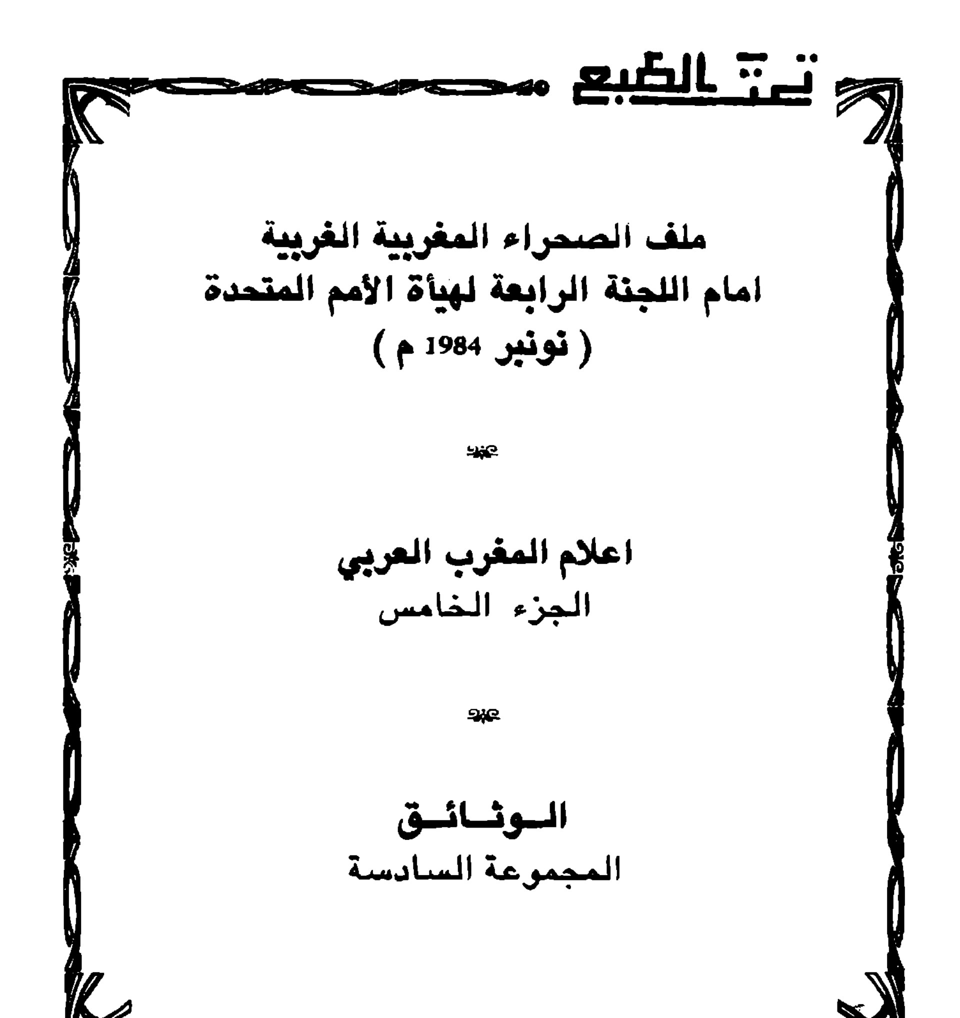
والله سبحانه يختم لنا ولكم بالحسنى ، ويجمعنا واياكم في المقر الأسنى ، بجاه سيدنا ونبينا ومولانا محمد خاتم النبيئين ، وامام المرسلين ، صلى الله وسلم عليه

وآله واصحابه الطيبين الطاهرين ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ·

انتهى على يد العبد المذنب العاصي ، الخائف من ربه يوم الأخذ بالنواصي ، الخضر بن محمد بن محمد بن عثمان الشريف العمراني ، بزاوية الشيخ سيدي ابي محمد صالح ، صبيحة يوم الجمعة 2 ربيع النبوي سنة اربع من القرن الثالث عشر ·

فهرس

كتاب الروض الهتون ، في اخبار مكناسة الزيتون



تحت الطبع

ملف الصحراء المغربية الغربية
امام اللجنة الرابعة لهيأة الأمم المتحدة
(نونبر 1984 م)

اعلام المغرب العربي
الجزء الخامس

الوثائق
المجموعة السادسة